لصاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الثالث

المجلة الجديدة

العدد الرابع
من
السنة الثالثة

ابريل سنة ١٩٣٤

سير الحوادث

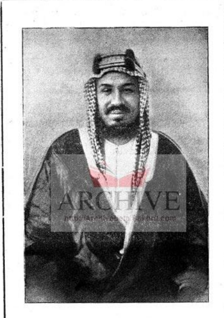
أهم حوادث الشهر الماضي هو نشوب الحرب بين ابن السعود والامام يحيى . ويرى القارىء فى هذا العدد مقالا عن الاسباب الاصلية لهذه الحرب كتبه لنا رجل واقف على حوادث الجزيرة فى السنوات العشرين الماضية . ومنه يتضح ان ابن السعود الامير العربي قد أرصد نفسه لمقاتلة العرب . فهو حارب ابن الرشيد والغى استقلال حائل ثم حارب الملك حسين والغى استقلال الحجاز وحاول أن يحارب العراق وشرق الاردن ثم ارتد عنهما لقوتهما . وهو الآن يحارب اليمن . والنية الواضحة منه أنه يريد أن يكون امبراطورا على جزيرة العرب . وجيش ابن السعود مؤلف من الوهابيين الذين يعدون التدخين جناية كبرى تستحق العقاب ولا يبالون قتل الاسرى واحراق القرى وانتهاك الحرمات

والخلاف الذى أدى إلي هذه الحرب قائم على امتلاك عسير ونجران . فان ابن السعود يريد امتلاكهما وانتزاعهما من اليمن مع ان كل انسان يعرف أنهما من أقاليم اليمن

***

توفى فى الشهر الماضي زعيم فلسطين موسى كاظم باشا وخسارة فلسطين فيه فادحة . فقد كان له من شيخوخته هالة تجذب اليه القلوب وتعقد للفلسطينيين حوله راية الاتحاد الوطنى . ومن أشق الامور ان تنعقد القلوب من جديد على زعيم آخر

والمستقبل مظلم لفلسطين بل هو غاية فى الظلام . فلقد بلغ عدد اليهود فى شهر يناير



الملك عبد العزيز بن السعود

دهش الجمهور في مصر لأعلان الحرب بين الوهابيين وبين الامام يحيى . وقد أصبح واضحاً للجميع أن ابن السعود الامير العربي يقاتل العرب لكي يخضع الجزيرة كلها لسلطانه

الماضي ٢٤٥٠٠٠ر منهم ٦٣٠٠٠ر هاجروا إليها في السنتين الماضيتين . وقد نزح إليها من يهود ألمانيا في العام الماضي فقط ٩٠٠٠ يهودي

واليهود يستعملون جميع الوسائل الاقتصادية والعلمية الحديثة لكي يحققوا السيادة لأنفسهم على العرب . فهم يؤسسون المصانع ويصنعون الخمور الجيدة من العنب ويرسلونها إلى جميع أنحاء العالم . وهم يزرعون الأرض بالآلات الحديثة التي تغنيهم عن الفلاح العربي وقد بلغت قيمة مابنوه من المساكن في تل أبيب في العام الماضي فقط ٦٠٠٠٠٠ر جنيه

والعرب جامدون متمسكون بشرقيتهم التي تحتم عليهم الهزيمة أمام الوسائل الحديثة التي يستعملها معهم اليهود

***

في أول مارس الماضي توج « المستر » هنري بو بي « امبراطورا » على منشوريا التي تحميها الآن اليابان وتسميها «منشوكيا» وهذا الشاب هو سليل الأسرة الامبراطورية التي حكمت الصين بضعة قرون إلى أن ألغت الصين نظام الملك وأقامت جمهورية على يد الزعيم صن يات صن



امبراطور منشوكيا الجديد

والحكم الآن في منشوريا للمنشوريين . ومن خلف الستار يقف اليابانيون فينفذون جميع أوامرهم . والامبراطور الذي يعرف أن اليابانيين هم الذين وضعوا التاج على رأسه وبوأوه عرشا لم يكن يحلم به لا يمكنه أن يفكر في عداوتهم . وهذا هو الاستعمار على أخرى . وقد تعلمته اليابان وعرفت فائدته

ويدعى اليابانيون أن منشوريا هي إقليم منفصل عن الصين مع ان الواقع ان جميع السكان من الصينيين . وليس هناك فرق بين صينى ومنشورى الا تفرق الذى يخترعه اليابانيون لكى يبرروا لانفسهم الاستعمار . ومن الغفلة أن نظن أن اليابانيين سوف يقتنعون بمنشوريا فانهم لابد طامعون فى استعمار بعض أقاليم سيريا والصين ولا بد انهم سيصطدمون بالولايات المتحدة وروسيا فى هذا التوسع

***

الغت حكومة الانتداب فى سوريا كلا من المجمع العلمى وكلية الاداب فى دمشق. ولا يمكن الاستعمار الفرنسى أن يتسم بالثقافة العالية لانه يجد فيها بذرة الاستقلال والانتقاض عليه . وفى الوقت نفسه تسيطر الفرنسية على العربية فى مدارس لبنان. وفى سوريا حركة وطنية تطلب الاستقلال وهى حركة لا بأس بقوتها . ولكن ليس فى لبنان للاسف مثل هذه الحركة

***

نظن أنه يجب العناية بما يجرى فى طرابلس ، فان نيات موسولينى الاستعمارية واضحة كل الوضوح . ولا زال بعض الفاشيين يقول ان الاسكندرية ميناء إيطالية . والحاكم العام فى طرابلس هو وزير الطيران السابق المرشال بالبو . ويقال انه يقيم المطارات الآن لتحوى [illegible] طيارة فى أنحاء طرابلس وانه يخطط الطرق بين طرابلس والحدود المصرية وبين طرابلس والحدود التونسية . وحبذا لو أوفدت إحدى جرائدنا مندوبا لكى يتعرف حقيقة هذه الاخبار . واذا لم يكن فى حالنا الداخلية مايستدعى سرعة الاتفاق مع الانجليز ففى هذه الحال الجديدة فى طرابلس مايجب أن يجعلنا نلح فى وجوبه والاسراع فى إتمامه . فاننا لسنا من البلاهة بحيث نؤمن بأننا نقوى على صد غارة إيطالية قوامها الطيارات والاتومبيلات المدرعة

***

لم يجدّ فى مصر فى الشهر الماضى شىء جديد غير الفضائح التى تتوالى عن فساد الادارة مدة وزارة اسماعيل صدقى باشا . فقد ذاعت فضائح عن مقاولات الكورنيش ثم تلاها كلام فى الصحف عن مقاولات خزان الاوليا يذكر القراء بما قيل عن الكورنيش والآن تعلن فضائح جديدة عن استبدال أرض الحكومة بجزء من معاشات الموظفين وقد اتضح منها ان موظفين كبيرين قد استغلا مركزيهما لسرقة الحكومة أوما يساوى ذلك . وهذا هو الذى اتضح ولكن هناك أشياء أخري لم تتضح

وهذا هو الجزاء الذي يلقاه الآن جميع الذين أيدوا وزارة صدق باشا ودعوا اليها

حرب ابن السعود الجديدة

تدور رحى القتال الآن في شبه جزيرة العرب بين الامام يحيى والملك ابن السعود وتختلف هذه الحرب عن الحروب التي تقع في أقطار قطعت شوطاً في ميدان الحضارة اذ انها ناشبة في اصقاع نائية عن العمران لم تتبدل فطرة أرضها ولا فطرة سكانها منذ فجر التاريخ . ولا يكاد المرء يجد فيها أثراً لمبتكرات الحضارة الحديثة . وليس فيها طريق غير طرق القوافل . وقلما يجد المرء لها خريطة دقيقة . فمن الصعب أن تعرف مواطن القتال ومراكز حشد الجنود ، ووجهة كل جيش من الجيشين المتحاربين ، ويضاف الى كل ذلك أن المدونين يكتمان كل خبر لا مصلحة لهما في نشره . ولا صلة للعالم الخارجي بما يجرى هناك . ولا تطرق البواخر موانيه غير . وليس في ذلك القطر أسلاك تلغرافية متصلة بغيرها من البلدان . ولا يسع غريبا أن يزورها مالم يجازف بحياته . فكل خبر يرد عما يجرى في ساحة الحرب يجب أن يقابل بكل تحفظ الى أن تجلو الايام حقيقته

ومما تختلف به هذه الحرب أيضاً عن سواها ، انها ليست وليدة خلاف مباشر بل نتيجة محتومة ساقتها طبيعة الاشياء . ولعل خير وصف لها هو أنها رد فعل لاختلال الاوضاع التي أسستها التقاليد القديمة في شبه جزيرة العرب . فاذا شاء الباحث أن يصل الى أسبابها البعيدة وجد أنها تبدأ بزحف الوهابيين على الحجاز بعد ما أستتب لهم الامر في نجد وقضوا على امارة ابن الرشيد في حائل . فعند ما احتلوا الحجاز ودالت دولة الهاشميين منه ، توجهت أنظارهم نحو الجنوب وقضوا على آل عائض وعلى الادارسة وأخضعوهم لسلطانهم ؛ وحاولوا الوصول الى نجران ليتخذوا منها قاعدة للزحف نحو الجنوب فوجدوا في الامر مشقة لا طاقة لهم بها واكتفوا بما كسبوه ولو الى حين وعمدوا الى توطيد أركان ذلك الملك الواسع

ولكن الامام يحيي رأى الخطر الذي تتعرض له بلاده . وهو يعد عسيرا جزءاً من بلاده . وكان قبل عهد الوهابيين بها يتربص بالادارسة الدوائر ويعد عدته للقضاء على امارتهم وتوحيد الاقطار اليمنية ، ولكنه كان في شغل شاغل عنهم ، إذ كان قبل الحرب

العامة منهمكا فى مقاتلة الدولة العثمانية . فلم يكد يعقد الصلح معها ويلزم الراحة قليلا حتى نشبت الحرب العامة فناصر الدولة العثمانية ونسى كل ذلك العداء التاريخى وقاتل الانجليز فى الجنوب ولم يلق السلاح إلا بعد ما ألقاه الترك بزمن طويل . ولم يكد يتمتع بقسط من الراحة بعد ذلك حتى رأى جنود الملك ابن السعود تحتل عسيرا . فلم يسعه فى بادىء الامر إلا أن يحنى رأسه أمام العاصفة ريثما تهدأ ثورتها . وحول اهتمامه الى حدوده الجنوبية حيث كان فى نزاع دائم مع الانجليز . وثار الادارسة فى خلال ذلك على ابن السعود فوجدوا فى الامام يحيي حليفاً طبيعياً. ونزحوا الى بلاده عندما انقصم ظهر ثورتهم. ولم تنقض بضعة أشهر حتى تمكن الامام يحيى من عقد معاهدة صداقة مع الانجليز تضمن له على الاقل ان لا يداهموه من الجنوب عندما يتهمك فى حرب من الشمال . وفى خلال مفاوضاته مع الانجليز جرد حملة على نجران واحتلها . فأيقن العارفون بتطور الاحوال فى جزيرة العرب أن الحرب ناشبة لا محالة بين الامام يحيي والملك ابن سعود . وانه إذا كان قد سهل على الوهابيين اجتياح الحجاز وتقويض ملك الهاشميين ، فلن تكون عسير تلك اللقمة السائغة ومن خلفها رجل كالامام يحيى ألف الحروب المتوالية طول مدة حكمه . وهاهم الآن يجهزون الجنود فى نجد ليسوقوها الى جبال عسير ووهادها ، فلا تصل اليها إلا بعد أن تسير أياما عديدة فى الفيافى والقفار

فسياسة الفتح التى جرى عليها الوهابيون وكانت حملاتهم فيها كحملات جنكيز خان وتيمولانك وهولاكو واتيلا هى التى تثير الحرب الناشبة فى عسير ومن أجل عسير الآن فهل تصطدم هذه الموجة التى ما زالت تطغى على جزيرة العرب منذ عشر سنوات بمثل الصخور التى ارتطمت بها تلك الموجات السابقة وتتكسر عليها أم تظل مندفعة الى أن تصل الى حدود المحميات التسع جنوبا كما زحفت الى شواطىء الفرات شمالا ؟

إذا صرفنا النظر عن أعمال الغزو المألوفة فى شبه جزيرة العرب وجدنا ان الاوضاع الرئيسية التى كانت محترمة من جميع القبائل هى أن يكون الامر فى اليمن لاسرته المالكة الحالية وفى الحجاز للهاشميين وفى نجد لآل الرشيد . فمنذ ما ظهر المذهب الوهابى أعقبته فتوحات قضت الدولة العثمانية على جانب منها والدولة المصرية على الجانب الآخر واستطاعت حملة صغيرة من الجيش المصري أن ترد الوهابيين عن الحجاز وتسوقهم أمامها الى قلب نجد .

ولكن موجة الوهابيين الاخيرة كانت أعظم من موجتهم الاولى لأنها وجدت في دولة عظيمة كبريطانيا خير صديق ومؤيد. وقد انحاز الامير عبد العزيز ابن السعود الى الانجليز منذ بدء الحرب العامة فساعدوه بالمال والعتاد على توحيد نجد والقضاء على امارة آل الرشيد. وكان يتطلع بعد ذلك الى اقامة عرش له في بغداد، ولو لم يكن المغفور له الملك فيصل قد خرج من الشام في ذلك الحين ورأى أصدقاؤه من الانجليز أن يعيضوه عن عاصمة الامويين بعاصمة العباسيين لكان الامير عبد العزيز السعود أعظم المرشحين حظاً بعرش العراق

وشاء حظ الامير عبد العزيز أن يقع خلاف بين الملك حسين وبين الانجليز على مصير البلاد العربية التي قطعوا له العهود من أجلها في زمن الحرب فحول انظاره الى عاصمة الاسلام ورأى من الانجليز تشجيعاً كبيراً فهاجم الحجاز واحتله وأخضعه لسلطانه ونادى في أول الامر بانه لا يريد فتحاً بل يضع مصير الحجاز تحت تصرف المسلمين ليقرروا في شأنه ما يشاءون. ولكنه مالبث بعد أن استتب له الامر أن ضمه الى ملكه وأعلن تأليف مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها أولا ثم المملكة العربية السعودية بعد ذلك

وفعل بعسير ما فعله بالحجاز. فبدأ عهده به بعقد معاهدة مع أمير الادارسة تحترم استقلال البلاد الداخلي، ولكن تلك المعاهدة لم تلبث أن أصبحت قصاصة ورق. فثار الادارسة عليه وثارت معهم القبائل الموالية لهم

فوجة الفتح الوهابي تصطدم الآن بأضخم صخرة في طريقها وهي صخرة اليمن ولو كان الهاشميون اليوم سبيل للعمل لما تأخروا عن القيام لاسترداد ملكهم الضائع واعادة الامور الى نصابها، ولكن لهم من ظروفهم ما يحملهم على الاكتفاء بالدعاء لله بأن ينصر الامام يحيى

فمن يريد السلام في جزيرة العرب يجب أن لا يسعى اليه من طريق وقف القتال الحالي بل من طريق اعادة الاوضاع السابقة التي كانت محترمة من جميع القبائل الى سابق عهدها إذ ما هو الخير الذي يرجى من صلح يحمل في طياته بذور حرب أخرى؟ وهل من الممكن أن يتنازل الامام يحيى عن أرض يعدها جزءاً لا يتجزأ من بلاده؟ هل يسكت الهاشميون

عن ضياع ملك آبائهم وأجدادهم ؟ هل يرضى الادارسة أن يكونوا سلعة للبيع والشراء بين اليمن ونجد

ومما يفوق كل ذلك خطراً ان خلق هذه المشاكل والمنازعات والمطالب والثارات في شبه جزيرة العرب يفتح أبوابا لا تحصى لتدخل النفوذ الاجنبي وتوغله . فاذا كان العرب يريدون أن يصونوا بلادهم من الفتح الاجنبي فعليهم أن يبدأوا بأنفسهم ويقلعوا عن سياسة الفتح ، وأول من يجدر به أن يتأمل في عواقب هذه السياسة وما تجره من الاضرار والتضحيات عليه أولا وعلى جيرانه ثانياً هو الملك عبد العزيز ابن السعود

أبو العلاء والأئمة

شاهد ابو العلاء في أيامه حوادث كثيرة علمته كثيراً إذ كان يرى الناس يتحايلون على سلب بعضهم البعض . وكانت الامامة والمذاهب المضلة أكثف ستار يختفون وراءه فقال :

يرقب الناس أن يقوم أمام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن ، لا أمام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء
فاذا ما أطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء
إنما هذه المذاهب أسباب لجذب الدنيا إلى الرؤساء
كالذى قام يجمع « الزنج » بالبصرة و « القرمطى » بالأحساء
فانفرد ما استطعت . فالقائل الصادق يضحى ثقيلا على الجلساء ..!

الوجه المصرى

الآن وأيام الفراعنة

يرى القارىء هنا خمسة وجوه مصرية أحدها لا يزال حياً وهو قبطى من أقباط الصعيد قد رسمته سيدة بلجيكية هى مدام بهمان . أما الاربعة الاخرى فهى وجوه مصرية قديمة مضى علي بعضها أكثر من خمسة آلاف سنة . ويمكن القارىء أن يتأمل هذه الوجوه القديمة بالوجه المصرى الحديث بل يمكنه أن يقابلها بوجهه هو نفسه لكى يعرف مدى الاختلاف أو الاتفاق بيننا وبين الفراعنة



قبطى من الصعيد — رسم مدام بهمان

ولكن هذه المقابلة يجب أن تلحظ فيها شيئاً مهماً. وهو أن الصورة الحديثة للقبطي الصعيدى هى رسم يدوى . فى حين أن الصور الاربع الاخرى هى صور فتوغرافية لتماثيل مصرية مختلفة

ففى الصورة

الاخيرة نجد تمثالا صنع فى الاسرة الرابعة التى بنيت فى عهدها الاهرام وهو أزهى عصور النحت فى مصر. وهذا الوجه لايختلف الآن فى انه كثير الورود فى الريف. فنحن نري وجه الفلاح الحديث بجميع الملامح البارزة التى يمتاز بها. وقد يكون هذا الوجه، مع أنه أوغل فى التاريخ من أي وجه آخر هنا، أقرب الى الفلاح المصرى والقبطى الصعيدى العصريين من أى وجه آخر. والفلاح المصرى على الرغم من الاختلاط القليل بالدم الاجنبى لايزال يحتفظ بالسحنة المصرية القديمة أيام بناة الاهرام. وكذلك القبطى الصعيدى وخاصة إذا كان من سكان الريف حيث



تمثال رأس أمينهمت الثالث

كان الاصهار ولا يزال لايتجاوز سكان القرية ولا يكاد الدم الاجنبى يعرف اليهم سبيلا كما هو الشأن [illegible]

ولسنا ننكر الاختلاط بالشعوب الاجنبية. إذ ليس من المعقول أن يعيش الهكسوس نحو ٥٠٠ سنة فى مصر ثم لاتكون لاقامتهم هذه المدة الطويلة أثر فى الدم المصرى على الرغم من كراهة المصريين لهم. ولكن هذا الاثر نظنه فى سكان الوجه البحرى وهو مع ذلك قليل. والهكسوسى سامى له انف الساميين الاقنى وشعرهم السبط. وقل أن نجد فلاحا أو قبطياً صعيديا له هاتان الصفتان. ولا عبرة بأن نجد مثل هذا الانف



باليمين تمثال لاخناتون؟

عند أحد الفراعنة مثل امينمهت فان تسرى الجواري الاجنبيات كان شائعاً فى الازمنة القديمة كما شاع فى الازمنة الحديثة عند الملوك والامراء . أما الفلاح فبقى محتفظاً بنقاوة دمه المصرى . وقد سكن اليونان والقبرسيون الشواطئ والمدن المصرية نحو ألف عام ولكن اختلاطهم بالسكان لم يتعد المدن الشمالية . وكما أن الاجانب فى عصرنا لايمارسون الزراعة ولا يعيشون فى الريف كذلك كانوا فى الازمنة القديمة . بل كذلك كان حال المماليك الشركس والأكراد والاتراك وسائر الأجانب حتى العرب لم يختلطوا بالسكان كما هو واضح من الحوادث المتوالية التى كوفئوا فيها من الامراء المصريين لكى يرحلوا عن مصر الى طرابلس وأفريقيا الشمالية

وفى مصر الآن نحو ربع مليون أجنبي لاتختلط دماؤهم بدمائنا ولايكاد يحس ساكن الريف بوجودهم فى بلادنا الا حين يذكر الديون العقارية . بل هم فى المدن لايختلطون بنا ولا يتزاوجون منا . ولذلك يمكن أن نقول أن العنصر المصري هو الآن فى مجموعه كما كان ليس أيام الفراعنة فقط بل قبل الفراعنة لم يتغير . وأحسن مثال له هو القبطى الصعيدى والفلاح المصرى

تمثال آخر لاخناتون

ومما يزيدنا بصراً بهذا الموضوع اننا فى المدن الكبرى مثل الاسكندرية أو القاهرة نستطيع التمييز أحياناً قليلة بين المسلم والقبطى ولكننا لا نستطيع ذلك فى الريف . والسبب لذلك أن الدم التركى والشركسى قد فشا بين سكان المدن من المسلمين . ولكنه لم يخرج من المدن الى الريف فبقى الفلاح المسلم كالقبطى الصعيدى . ونحن نعين هنا القبطى الصعيدى لأن أقباط الوجه البحرى قد فشا فيهم قليل من الدم الشركسى والسورى وأن كان فى مجموعه أقل كثيراً مما فشا من الدم التركى أو الشركسى بين المسلمين

والآن قد يسأل القارىء ماهو الوجه أو السحنة المصرية الطرازية التى يمكن أن يقال أنها السحنة المصرية الاصلية؟



تمثال من الاسرة الرابعة

هى الرأس الذى يتوسط بين الاستدارة والاستطالة. ولكنه يميل نحو الاستطالة بحيث تبرز منه فى الخلف قحدوة بخلاف الرأس السوري أو الزنجى المستدير الذى ليس له قحدوة. ثم الشعر الجعد الذى هو وسط بين المفلفل عند الزنوج وبين السبط عند الاسيويين. ثم حواجب ثقيلة. وأهداب طويلة. وأنف مستقيم لاهو بالاقنى ولا هو بالاشم ولكنه ليس مع ذلك أفطس

والسحنة المصرية تختلف. فمنها السحنة المعروفة التى تذكرنا بوجه تفرتيتى أواخناتون كما ان منها السحنة العريضة كهذا التمثال (فى هذه الصفحة) وهو من الاسرة الرابعة

وخلاصة القول أن الفلاح المصرى هو الآن أعظم مثال للسحنة المصرية القديمة التى رآها فى أيام بناة الاهرام قبل نحو ٥٥٠٠ سنة

طعامنا وشرابنا

ماذا يرى فيه ثلاثة من أطبائنا ؟

وضعت المجلة الجديدة هذه الاسئلة الاربعة التالية لكي تستفتي فيها أطباءنا المشهورين. وقد أجاب عليها في عدد فبراير كل من الدكتور عبد العزيز نظمي بك والدكتور جرجي صبحي بك والدكتور محمد عبد الحي والدكتور شخاشيري والدكتور نجيب اسكندر . ونحن ننشر هذا الشهر أجابة الدكاترة الدكتور أحمد شفيق والدكتور نجيب محفوظ والدكتور ابراهيم ناجي

وهذه هي الاسئلة :

١ — هل تعتقدون أن في مصر أمراضاً تنشأ بيننا من عادات خاصة في الطعام من حيث الكثرة أو القلة أو النوع ؟ وما هي

٢ — هل تجب مقاطعة الخمور أو الاعتدال في تناولها لحفظ الصحة ؟

٣ — ما رأيكم في التدخين والقهوة والشاي ؟

٤ — هل تعتقدون أن المائدة الاوربية (الانجليزية مثلا) خير من المائدة المصرية ؟ ومن أي الوجوه

الدكتور احمد شفيق

بما أني أختص بمعالجة أمراض النساء فاني ترددت في اجابة الاسئلة التي تكرمتم بعرضها علي لأنها تخص زملائي الباطنيين ثم عدت فردت ان أرد عليها فيما يخص المرأة في نوع اختصاصي وأرجو ان تعتبر من هذه الوجهة فقط

١ — ان المرأة المصرية (غير الريفية) مع تقاعدها وكرهها للرياضة تكثر من الطعام بكل أنواعه وخاصة النشوى والدهني منها مما يسبب لها التشحم وهو وان كان نوعا من التجمل عندنا لايزال له بهجته عند الكثير من رجالنا إلا انه ظاهرة مرضية تضعف معها الوظائف التناسلية غير مايجلبه على الاعضاء الرئيسية من التلف

وان التوابل التي نرى ضرورة مزجها بطعامنا انما هي سم من سموم الكبد يظهر خطره خاصة في أوان الحمل

٢ — أن البخور يأجمعها لاضرورة لها في الغذاء وهناك مايستعاض به عنها . والمعدة التي لاتقوى على الهضم يجب ان لاتتقل صناعياً بأكثر مما تشتهي وضررها بالمرأة وما يعود على نفسيتها أكثر منها بالرجل لتفاوت في البيئة والمزاج بينهما واما في أثناء الحمل فهي أفعل ضرراً

٣ — اما التدخين والقهوة والشاي فكلها سموم حكمت بها العادة تخف وطأتها مع عدم الاكثار منها . ويشاهد أثرها السيء عند الادمان فيها وخاصة في القلب . وقد تورث السهاد عند العصبيات

٤ — ان المائدة الانكليزية خير من المائدة المصرية للصحة وخصوصاً إذا لم يكثر من لحمها وزيد على خضراواتها وتمتاز بتنظيم مواعيدها وقلة ألوانها وبساطة طهيها وطول المدة التي تقضى عليها مع تناسب كميتها لأوقات العمل ولكن يصعب علينا الاخذ بها والاستمرار على تذوقها وقد نشأنا على استملاح انواعنا

الدكتور نجيب محفوظ

رداً على الاسئلة التي تفضلتم بتوجيهها الى أبدى ما يأتي

١ — طعام السواد الأعظم من المصريين وهم طبقة الفلاحين ينقصه كثير من المواد الغذائية اللازمة للجسم ليس فقط من حيث القدار بل أن الأنواع المستعملة لاتحتوى القدر اللازم من الفيتامين بسبب سوء التغذية

أما غذاء الطبقتين المتوسطة والعليا فكثير الدسم واذا لاحظنا أن المصريين بصفة عامة لايتريضون الرياضة اللازمة وأن قليلا منهم من يلعب الالعاب الرياضة من كرة القدم أو التنس وأن النساء محرومات بسبب العوائد القومية حتى من السير على الاقدام في الهواء الطلق تتضح لنا ضرورة تحضير الطعام بطريقة أبسط وأقل دسما من المتبع الآن

ويعتقد بعض الأطباء أن تحضير الطعام المصري بالطريقة الحالية أي بالافراط في

استعمال السمن من ضمن الاسباب فى انتشار البول السكرى ولكن هذا الرأى لا يستند الى أساس علمى

٢ — أنا من أنصار مقاطعة الخمور بتاتاً إلا إذا وجدت دلالة طبية لاستعمالها أما الاعتدال فى تعاطى الخمور فهو مؤد فى معظم الاحوال إلى الافراط لان الذى يكفيه اليوم كأس واحد يميل الى أخذ كأسين بعد أسبوع وهكذا

٣ — استعمال الشاى والقهوة باعتدال مفيد للجسم ومنبه للأعصاب ولكن الافراط فى استعمالها شديد الضرر أما التدخين فضرر على كل حال

٤ — الطعام الذى يقدم على المائدة المصرية أشهى بكثير من الذى يقدم على الموائد الاخرى وأقرب الموائد الينا المائدة الفرنسية ثم التركية . والطعام الشهى مفيد من حيث تنبيه المعدة ولكن من الجهة الاخرى مغر على الافراط . والمائدة الانجليزية أبسط الموائد تحضيراً وأسهلها هضما وعلى الاخص فى البلدان الحارة ولكن قل من يستسيغها من المصريين

الدكتور ابراهيم ناجى

١ — نعم هناك أمراض خاصة بالمصريين . وأترك ماذكرته الكتب لأتكلم عما لقيته بالتجربة فى أثناء مزاولة المهنة فى مصر . حين كنا طلبة بقصر العينى كان أكثر شىء نكتبه لسيداتنا هو المزيج الابيض والمزيج المعدى . ولفلاحينا مزيج الحديد والزرنيخ . ولاطفالنا الزيت السمك والحديد.. معنى ذلك أن أول ما تشكوه السيدة المصرية «فم المعدة»!..

وأول ما يشعر به الطبيب وهو يفحصها ارتخاء فى جدر البطن يشعره بما تحته من خمول وركود . وعند ما يقيس الضغط الدموى يجد هبوطاً . والسبب الاكبر فى ذلك هو قلة التمتع بالرياضة بالشمس والهواء الطلق فى بلد ليس فيه أروع من الشمس والهواء الطلق!

أما فلاحونا فالانيميا عندهم ناشئة من العدوى بالديدان والبلهارسيا والانكلستوما...

ويصابون بالبلاجرا . وليست البلاجرا مرضاً جلدياً ... بل هى مرض من «أمراض النقص» مسبب من انعدام فيتامين خاص . ناقص من الذرة . وتالف فى القمح المخزون أو القديم البخس الثمن

أما فى ما يختص بأطفالنا — خصوصاً الفقراء — فهم مصابون بما يسمى الانيميا

الغذائية . لأن الطفل محتاج فى سن مبكرة الى الغذاء الغنى بالحديد والفيتامين . وإلا تكر اليه الضعف والكساح . ولهذا السبب يقدم زيت السمك والحديد

أما فى الكمية فعندنا نقيضان : فى الفلاحين قلة متناهية . كما نعلم من الاقتصار على الفجل والجبن وما الى ذلك مما يقضى به الفلاح طول يومه . . . وفى الحواضر ميل الى الافراط فى الكمية . وأناقة فى الطبخ ... مما يؤدى الى ازدياد كلى فى أحوال ضغط الدم . وما يسمى « بالروماتزم » : تلك الآلام الغامضة فى المفاصل أو التى يطلق عليها « أملاح » . . وما هى إلا نتيجة لاخطاء غذائية

٢ — أنصح بمقاطعة الخمور بتاتاً . إذ لا فائدة منها فى حال الصحة ولا المرض . . .

٣ — التدخين والقهوة والشاى لا بأس منها مع الاعتدال . ويمتنع عنها بتاتاً فى الاحوال العصبية . وأمراض القلب . وضغط الدم

٤ — المائدة الانجليزية أصح من المائدة المصرية بكثير . ومن رأيى أنها المائدة المثالية لسببين

١ — السبب الاول أن الافطار يكون خمس مرات أكلا خفيفاً . ونحن نأكل ثلاث مرات أكلا مشبعاً . والنظام الاول أيسر على المعدة وأجلب للراحة . وهو النظام الذى نصفه لمرضانا . والذى نلاحظه أن الانسان مع هذا النظام لا يشعر بالخمول الذى يعقب النظام المتبع فى مائداتنا

٢ — مائدتنا أكثر تأنقاً ودسماً . خصوصاً فيما يختص بالتوابل والسمن . وأقل غنى بالفيتامينات ولذلك يكثر عندنا الخمول والميل إلى النوم بعد الاكل والميل إلى الامساك

الى القراء

١ — يمكن الاشتراك فى المجلة الجديدة فى أى وقت . والاشتراك ١٢ عددا وثلاثة كتب هدايا
٢ — جميع المراسلات والحوالات يجب أن تكون باسم صاحب المجلة الجديدة بمكتب بريد الدواوين بمصر
٣ — اذا لم يتيسر ارسال حوالة بريدية فيجب ارسال شيك على أحد بنوك القاهرة

أدب الفكرة وأدب الانشاء

يقولون لماذا لا يكون لنا أدب قوى ينافس الآداب العالمية ؟ ويسأل الكثيرون من الادباء لماذا لا تروج بضاعة الادب فى مصر ؟ ولماذا يظل هذا الادب ضعيف التأثير فى حياة الناس ؟

والجواب على كل هذا أن أكثر الادب الحالى فى مصر إنما هو أدب الانشاء وليس أدب الفكرة

ولايضاح ذلك نقول أن النوع الاول من الادب قد يستهوى القراء حتى يعيدوا قراءته مرات عديدة . لان أمامهم كلاما منسجماً وعبارات رصينة . ولكنهم بعد كل هذا لا يخرجون من مثل هذا الادب بشىء . إذ هو لن يعطيهم فكرة واضحة عن أى شىء يتصل بحياتهم عن قرب أو بعد

أما النوع الثانى من الادب وهو أدب الفكرة فقد يكون مكتوبا فى أسلوب جميل يغرى بالقراءة . ولكن قوته تبنى كل شىء إلا هذه الفكرة التى يحتويها . والتى قد تكون سبباً فى تغيير مجرى افكاره وآرائه فى أمر من الامور . أو قد تحدث الاحداث المختلفة فى حياته

وأدب الانشاء هو رأس البلاء فى ركود الادب المصرى . إذ أن أكثر أدبنا انشاء وقد لا يروق هذا الكلام معظم الادباء . كما ظهر لى من أحد أساطينهم . ولكن هذا هو الحقيقة المرة التى يجب أن تبديها صريحاً وان كره الكارهون . وإلا فأى اديب من أدبائنا يرصد أدبه وحياته لفكرة أو مجموعة من الافكار يرى فى تحقيقها واجباً عليه لا يتخلى عنه أبداً حتى تتحقق هذه الافكار أو يمهد لتحقيقها ؟ اللهم أن هذا الصنف من أدبائنا لا يتعدى أصابع اليد الواحدة بل هو أقل من ذلك

فالادب لدينا مواضيع انشائية . قد تطول فتبلغ مقدار الكتاب وقد تقصر الى حد المقالة . وهى فى هذه الحال او تلك لا تزيد على خواطر هيجت لحظتها . تأتى عفو الخاطر فاذا بالأديب يمسك بالقلم ويندفع فى الكتابة . فيدبج المقالة او يؤلف الكتاب .

وهو لا يصدر عن فكرة وإنما يبحث عن الأسلوب الجميل والعبارة المنسجمة والكلام الموزون

وهذا النوع من الادب الانشائي لا يعتبر في مثل هذا العصر أدباً بأي حال من الاحوال. إنما هو أقرب إلى لغو الحديث. الذي لا يقرأه الانسان إلا جلباً للنوم، أو قطعاً للوقت، أو تسلية في الفراغ. أما الرجل الجاد في أموره فلن يقربه، بل هو لا يعترف به بتاتاً. ومن هنا يكثر عدد المصريين من المتعلمين الذين لا يعترفون بالادب. لان مايقدم لهم منه إنما هو لغو لا يجب أن يصرفوا اليه وقتهم. وهم معذورون في ذلك

ولقد عرفت كثيراً من المتعلمين الذين يتقنون بعض اللغات الاجنبية وهم يتهافتون على أدبها ـ وان كانت أعمالهم بعيدة جداً عن الادب ـ ولكنهم يصدون كل الصد عن الادب العربي. وذلك لانهم يجدون في آداب تلك اللغات الحلول المختلفة لمشاكلهم وتدفعهم هذه الآداب بدورها إلى نواح من التفكير الذي يجب أن يساهم فيه كل انسان جدير بهذا الاسم. فهذه الآداب تمس حياتهم وهي لازمة لهم. اما الآداب العربية المعاصرة فكل ما فيها هذا الجمال اللفظي الذي تنتهي اللذة منه بالانتهاء من قراءته. فأين تقع هذه من تلك التي تمس الحياة؟

فأي قارىء لدرامة « الانسان والسيرمان » لبرنارد شو أو قصة « الزواج » لوِلز إلا ويشعر أن المؤلف إنما يعالج مسألة خاصة به أي بهذا القارىء؟ ونستطيع أن تقول مثل هذا الكلام في أغلب هذه المنتجات العظيمة التي ينتجها أمثال هذين الاديبين

وهذه المنتجات، على الرغم مما فيها من جمال يسترعي الانتباه، إنما الذي يخلد في الاذهان منها ليس هو الجمال الفني بل هو الفكرة التي تجتمع الى جوار فكرة أخرى. فتحدث هذه الافكار تطوراً في العقل الانساني. وهذا التطور هو السر في كل تقدم وفي كل هذه الخطوات الواسعة التي يسير فيها العالم نحو الرقي الادبي والمادي

فهذا الركود الذي يعانيه الادب المصري، وهذه الشكوى المرة التي يشكو منها الادباء في مصر من أن تقدير الناس وتذوقهم الأدب قد انعدم، أقول أن هذا الركود وتلك الشكوى راجعان إلى هؤلاء الادباء أنفسهم قبل أن ترجع الى غيرهم من القراء

وللبرهنة على صحة هذا الكلام أقول أن المصريين الآن لا يذكرون اسما ساطعا فى بدء هذا القرن أكثر من اسم قاسم أمين . ولقد عاصر قاسم أمين كثيرا من فطاحل الادباء . وقد يكون هو مثلهم من حيث البيان . ولكن اسمه ظل خالداً أكثر من غيره لأنه أرصد حياته لفكرة خاصة . وقد تكون هذه الفكرة على خطأ أو صواب . وإنما المهم أنه دأب فى الكتابة فيها والدفاع عنها حتى مات . والآن قد تسأل كثيراً من المصريين عن قاسم أمين وقد لا يكونون قرأوا له كلمة واحدة ومع ذلك فهم يذكرون لك أنه أول من نادى بتحرير المرأة

فخلود الكاتب وذيوع اسمه وانتشار أدبه كل هذه أشياء مرهونة بقيم الافكار التى يبعث الناس على التأمل فيها من ناحية . ومن ناحية أخرى على مقدار ثباته عليها ودفاعه عنها

ويقتضى هذا أن يكون الأديب ملماً بالنواحى المختلفة من الفكر البشرى من علمية وأدبية وثقافية وغيرها حتى يستطيع أن يقود الناس الى التأمل فيها

وبغير هذه الافكار والدفاع عنها بصور الأدب المختلفة من قصة ودرامة وغيرها لا يصبح الكاتب أديباً وإنما تلميذاً يكتب مواضيع انشائية منمقة

وهيب زكي



صفحة من صفحات الحياة

بقلم الاستاذ أمير بقطر

نزح هو ووالده من شمال روسيا منذ عشرين عاما قاصدين ولايات امريكا المتحدة طلباً للرزق . وكان هو طفلا فى الثانية من عمره لايفرق بين الدب الابيض والعم سام . ولكنه ترعرع فى احضان الحرية ، ورضع العلم فى مدارس الديموقراطية ، وشب امريكيا زيا ، وعقلا ، وطبعا ، غير انه ورث صفة يندر وجودها في أبناء الامريكيين ، وجرى فى دمه التيار الموسيقى الذى اشتهر به نهر «الفولجا» منذ أجيال ، بالفنون الجميلة ونبغ فى العزف على الكمنجة ، أميرة الاوتار ، وسيدة الآلات

مات أبوه ولما يبلغ هو العاشرة من عمره ، ولم يترك له بعد موته سوى أم تحنو عليه ، وكمنجة تدر عليه أخلاف الرزق ، من النوع المعروف باسم « ستراديفيرس » وهو الذى لم يصنع منه صانعه غير عدد محدود ، منذ سنوات عديدة مضت ، وتبلغ ثمن الكمنجة الواحدة ـ اذا وجدت .. مئات الجنيهات

وظل الغلام سائرا فى طريق الحياة ، وظل وأمه يمركان العيش ، حلوه ومره ، وسط ضوضاء نيويورك وجلبتها وسرعتها وملاهيها ودور أعمالها ، وناطحات السحاب فيها ، وكان كلما تقدم فى السن عاماً ، تقدم فى الموسيقا أعواما ، حتى استعاض الفن فيه ، ما كان قد فقده فى أبيه ، ولم يبلغ العشرين من عمره حتى أصبح حديث « برودواى » وكان كلما ظهر على المسرح ، همس الحاضرون اسم الشاب «الروسى الاصل» واتجهت أنظارهم الى الكمنجة ، وتحدثوا عن تاريخها ، وطيب عرفها ورنين خشبها الثمين ، وتجاويفها وصنعها ورمقه زملاؤه رجال الفن بعيون ملؤها الحسد والغيرة

وكانت الكمنجة سلوته الوحيدة فى الحياة ، فضلا عن كونها رأس ماله ، ومصدر قوته ، وضوء عبقريته والهامه ووحيه . وكانت آلة كالصبية الحسناء عند عشيقها ، يداعبها ويتمسح بها ، ويضمها الى صدره ، كأنه يتخيل فيها شخصية محبوبة فتانة ، وكأنه يتوسم فيها دبيب الحياة ، ويتلمس في جوانبها الصقيلة روح الحب والوداد . وكان يندر أن تفارقه

لحظة واحدة ، فاذا انتقل حملها عن ركبتيه فى السيارة ، واذا ماسار خطوات على قدميه احتضنها ، كالطفلة بين ذراعي أمها

وحدث يوما أن عاد إلى نيويورك من حفلة موسيقية فى بلدة نيوهيفن حيث جامعة ييل ، وسار فى برودواي يحمل درته الغالية بين يديه ، واذا بسيارة ضخمة قد قاجأته على مقربة من الرصيف ، وصدمت طرف الكمنجة صدمة عنيفة ، فهوت الى الارض ، وتهشمت اجزاؤها ، وتقطعت اوتارها ، وأصبحت أثراً بعد عين . أما هو فطار شعاعا رغم أن السيارة لم تمسه بأذى ، وصاح صيحة وقف لاجلها السائق مُزعجاً ، وتزاحم المارة ، وهو يصرخ كالمعتوه ، يشد شعره طورا ، وينطلق كالسهم طورا . وأخذ يجمع شظايا نعمته وسويداء فؤاده وهو يبكي بصوت مرتفع كالطفل . ثم أخرج منديلا كبيراً من جيبه ، ولم أطرافه حول أنقاض بالية وعظام رميمة ، وهو يكاد يخر على الارض صريعاً من شدة البكاء والعويل ، لولا أن جماعة من الرجال والسيدات اشفقوا عليه وحملوه الى السيارة التى كانت سبباً فى تعسه وشقائه ، وما هي الا بضع دقائق حتى كان الشاب وصاحب السيارة أمام المحقق فى مركز البوليس

وعبثاً حاول المحقق استجوابه ، لأنه واصل الاجهاش فى البكاء ، ومئات العاطفين عليه ممن شاهدوا الحادث ، وتبعوه الى مركز التحقيق ، يطلبون عقاب السائق ، بينما هو مسترسل فى النحيب وسكب الدموع ، واذا بسؤال من أسئلة المحقق قد أسكته هنيهة ، فأجاب عن السؤال قائلا : وماذا تستطيع أن تفعل شركة التأمين سوى نقدى بضع مئات من الريالات ، وهل تقدر خسارتى بمال ، أو تستعاض بثروة ؟ وعاد الشاب الى منزله يجر أذيال الخيبة ، وقد تبدل ايناسه بوحشة ، وعزه بذلة ، وسعادته ببؤس وشقاء ، وقضى زمنا وهو حزين لايتعزى

* * *

ظل هذا الحادث المحزن عالقا بذهنى أياماً وأسابيع ، ومرت شهور بعدها فنسيت كل شيء عنه ، حتى جاء عيد الشكر ؟ وهو العيد الذى يقدسه الامريكيون ويحتفلون به يوم الخميس الاخير من شهر نوفبر ، تذكاراً لوصول أول كتيبة من المهاجرين الاوربيين الى أمريكا بعد اكتشافها (أو الحجاج كما يسمونهم) ، على السفينة الشراعية « ماى فلور » وكان قد وصلتنى قبل العيد ببضعة أيام دعوة عشاء من أسرة امريكية عريقة فى المجد

تقطن حى « بارك افينيو » وهو حى أصحاب الملايين فى نيويورك . ولم يسبق لي بأصحاب الدعوة معرفة ، ولم تسبق لهم معرفة بى ، ولكنهم كعادة الكثيرين من أفاضل الامريكيين ، كتبوا الى الجامعة التى كنت أحد طلبتها ، وطلبوا اليها أن ترشح لهم ضيفين من طلابها الاجانب وقد كان لي الحظ أن أكون أحد من وقع عليهما الاختيار

وما وافت الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم ، حتى كنت أمام ذلك القصر الفخم ، وأنا لا أعلم عن أصحابه شيئاً . وبينا أنا أبحث عن الزر الكهربائي ، واذا بسيدة تنزل من سيارة ، فأدركت على الفور أنها طالبة وأنها أيضاً مدعوة لهذه الحفلة . وما هى الا ثوان معدودات حتى فتح الباب على مصراعيه ، ووجدنا أنفسنا أمام باب آخر زجاجى كبير ، وأمامه « ساقى الخمر » يبذلته الرسمية الفخمة ، وهو منتصب شامخ الرأس ، مديد القامة ، يتحرك كله كتلة واحدة ، كأنه تمثال من المرمر الابيض ، أرخى فوقه ستار من القطيفة السوداء . وقد وقفت خلفه غادتان جميلتان لنزع المعاطف والقبعات ، ووضعها فى أماكنها الخاصة . فأدركنا أن أصحاب الدار يتبعون العادات الانجليزية العريقة ، التي لا تزال جارية فى منازل اللوردات وغيرهم من بيوتات الطبقات الارستقراطية

سار أمامنا « ساقى الخمر » فى دهليز طويل ، فوق بسط زرقاء كثيفة حتى بلغنا باباً زجاجيا كبيراً مغطى بأستار رقيقة من الحرير الابيض . ففتح الباب ونادى كالحاجب فى محكمة النقض والابرام اسمينا ، من بطاقتين كان قد أخذهما منا ، اعلانا لارباب الدار . وفى غمضة عين كان رب الدار والسيدة فى انتظارنا . فصافحنا كلاهما ببشاشة ذاكرين اسمينا ، كأنهما كانا يعرفاننا من قبل . ولم تنحدت بضع ثوان حتى دوى صوت « الحاجب » بأسماء القادمين . اثنين اثنين . وكلما أقبل زوجان قدمتهما سيدة الدار إلى من سبقوهم من المدعوين . وبعد ثلاث دقائق ، لا أقل ولا أكثر ، اكتمل عقد الحاضرين ، وكان عددهم ثمانية واربعين

وكان الجميع طبعا بملابس السهرة . خلا شاب متوسط القامة ، ناصع البياض ، أسود العينين ، يتهدل شعر رأسه حتى كاد يغطى كتفيه . وكان معظمهم متوسطين فى الاعمار . عدا شاب من طلاب الجامعات من أصحاب الملايين . ولعله من أقارب أصحاب الدعوة ، ترافقه شابة من بنات أصحاب الملايين أيضا ، وعدا فتاة حسناء من ربات الجمال النادر ، طويلة القامة ، ممشوقة القوام ، ممتلئة الجسم ، باسمة الثغر ، كانت تصحب والدها وهو من كبار الصحافيين فى نيويورك

وقبل ان يؤذن لنا بالجلوس او الانتقال الى قاعة المائدة وزعت علينا أوراق عليها أبيات من الأناشيد الدينية اشترك الحاضرون فى ترتيلها على نغمات الموسيقى . غير ان هذا الفصل من الرواية زادني حيرة ، وجعل أهل هذه الدار لغزاً لا أفهمه ، وذلك لان هذه الالحان الدينية لاتتفق وكؤوس « الكوكتيل » التى كانت تدار للمدعوين . أضف الي ذلك أنه كان بين المدعوين ثلاثة من أهل الفن ، تبدو على وجوههم سمات الخلاعة أحدهم فنان مثر كبير صاحب « ستديو » مشهور فى نيويورك . وبنت الصحاق الحسناء كوكب من مغنيات الاوبرا معروفة فى لندن وباريس وبرلين ، فضلا عن شهرتها فى امريكا . وصاحبنا الشاب فى ملابسه المعتادة ، وشعره المسترسل على جبهته ، المنساب على عنقه موسيقى من رجال المسرح

***

قرع ناقوس المائدة أيذانا بالعشاء ، فتأبط كل رجل ذراع سيدة ، ودخل الجميع أزواجا قاعة فخمة ، تلألأت فوق مائدتها الادوات الفضية والكؤوس البلورية ، وأضيئت فوقها شموع متناسقة برتقالية اللون على سيقان من البلور الازرق ، ثم تفرقنا يبحث كل منا عن مكانه ، وقد كان من حظى أن أجلس الى يسار ربة الدار ، وقد جلس عن يمينها وأمامي رجل من كبار الماليين يدير مصرفا كبيراً ، وهو كاتب من علماء الاقتصاديات . وجلس قريباً منا الفنان الذى سبقت الاشارة اليه (صاحب « الاستديو ») ، وقد جذب اليه الجالسون فى الطرف القاصى من المائدة ، لانه كان طلق اللسان ، حلو الحديث ، يروى حكايات قصيرة طلية ، الواحدة تلي الاخري ، فى لغة محكمة ، متينة ، سلسلة ، منتخبة ، تناسب مكانها اللائق ، وكان لايكاد يأتي على آخر الحكاية حتى يقذف المدعوين فى لجة من الضحك ، فلا تتقدم منها سوى كؤوس الشمبانيا . وكان اذا أراد أن يأتى بنكتة يشتم منها ما يخالف آداب المائدة ، استأذن السيدات قبل القائها

وكان الجميع يحافظون على الرسميات أشد محافظة ، ولكن فى غير كلفة وتصنع . وكان الكلام موزونا ? والعبارة منتقاة بعناية عظيمة ، حتى ان الكلمة التى كانت تأتي فى غير مكانها ، يسحبها قائلها فوراً ، ويتلافى الامر بالاستبدال بها ، بعد أن يستميح سامعها المعذرة . ولولا القهقهة التى كانت تتردد فى جوانب القاعة عقب روايات الفنان الظريف ،

فتخفف عنا أعباء التقاليد والرسميات، لجاز ان الوليمة كانت يشوبها شيء من الجمود، ويعوزها شيء من المرونة . أما ألوان الطعام فقد كانت شهية جذابة ، محدودة الكمية والعدد ، تغلب عليها البساطة المتناهية ، ولكنها كانت دقيقة ، تنبيء عن حسن الذوق واتقان الصنع ، وترف وظرف ، شأن البيوتات العريقة فى العالم المتمدين اليوم ، فان كثرة الطعام ، وتراكم كمياته ، وتعدد ألوانه ، عيوب تتفاداها المقامات العالية

وكان أمام كل رجل على المائدة علبة بديعة معدنية مملوءة بلفائف التبغ ، وقد عقد فوقها شريط من الحرير البنفسجي . ووضع أمام كل سيدة قلم ثمين من المعدن الموشى بالذهب مربوط بشريط من الحرير الاحمر، هدية من أصحاب الدعوة . وفى نهاية العشاء انفرد الرجال فى قاعة ، واختلت النساء فى قاعة أخرى ، وأخذ كل فريق منهما يتجاذب أطراف الحديث على غير مسمع من الآخر . وهذه عادة ألفها الكثيرون من أهل الطبقتين العالية والمتوسطة، لأن السيدات من طبيعتهن الميل الى التحدث قليلا فى جو كله من السيدات فى شئون تعنيهن ولا تعنى الرجال ، والرجال كذلك ميالون الي التحدث فى جو كله من الرجال ، فى شئون تخص الرجال ولا تعنى السيدات

وبعد عشر دقائق فتح باب كبير بين القاعتين وتحادث الجميع وقتا برهة ، ثم سارت السيدات الى قاعة كبرى أنيقة الأثاث ، واقتفى أثرهن الرجال . ثم جلس الكل فى مقاعد وثيرة انتشرت فى أرجاء المكان بغير نظام خاص ، وأخذوا يمتعون الانظار خلسة بزخارف القاعة وتحفها الفنية ، وقد اندلعت في ركن منها لهب الموقد بلونها الذهبى الوهاج ، وتلألأت فى سقفها وجوانبها ثريات وشموع كهربائية صغيرة مختلفة الانواع متعددة الازياء، تظللها أستار برتقالية اللون ، ولما استوى بنا المقام دار بيننا ثلاثة من « سقاة الخمر » يتحركون بنظام واحد ، يقدمون أطباق القهوة ، وأنواع السجائر والسيجار على صينيات فاخرة يتوسطها فتيل موقد وقد خيل الى فى أثناء العشاء وفى أثناء جلوسنا فى القاعة، أن هؤلاء السقاة آلات جميلة صماء صبت فى ملابس بشرية صباً ، فلا هم يبتسمون ولا يلتفتون ولا ينظرون الي أحد ولا يهمسون شيئاً سوي « أجل سيدى ، وأجل سيدتى » عند ما يطلب منهم شيء ، وذلك بعكس المعتاد فى أمريكا حيث لا تفرق الديمقراطية بين الخادم والسيد

وبعد قليل وقفت الفتاة المغنية ابنة الصحافى ، فرنت اليها الانظار ، وخفتت الاصوات وانقطعت المحادثة ، فأخذت تشنف الاسماع بصوتها الرخيم ، وظلت تغرد

كالبلبل زهاء ربع ساعة ، وقد جمعت بين جمال الوجه ، وسحر العيون ، وتناسب الاعضاء واعتدال البدن وامتلائه ، وعذوبة الصوت ، ونعيم الحياة ، والجاه والثروة

ثم طلب من الشاب الجالس فى ثيابه المعتادة الجذابة أن يجود بشىء من نبوغه وعبقريته ، فأخرج من تحت الكرسى كمنجة وأخذ يعزف على أوتارها ألحاناً ، أيقظت فى الحاضرين أعمق العواطف ، وأثارت فى نفوسهم الشجون . ولم تهدأ عاصفة التصفيق والاستحسان حتى وقفت المطربة الحسناء مرة أخرى تنشد تارة بالانجليزية وطوراً بالايطالية وطوراً بالالمانية ، وظلت هى والشاب يتناوبان الانشاد والعزف حتى لم يبق من الليل إلا الهزيع الاخير

* * *

وقبيل مغادرة الدار سألت صاحبة الدار عن الشاب الموسيقى ، فأخذت تسرد لى عنه حكاية تثير الاشجان ، وتطوعت سيدة جلست على مقربة منى فزودتنى بمعلومات لم تر ربة المنزل من واجب اللياقة أن تفضى إلى بها .... فقلت كفى .... لقد عرفت كل شىء .... هو ذلك الشاب الروسى ، الحزين الذى لم يرد أن يتعزى ، بعد أن تحطمت دوته الغالية بصدمته من سيارة ، فتحطمت آماله ، وعفا أثر عزه وسعادته ونعيمه ، وجرد من ميراث آبائه ، وقضى على آماله وهى فى المهد

لقد سمع أفراد هذه الاسرة خبره مفصلا فى صحيفة نيويورك تيمس ، فرقت له أفئدتهم وعرضوا عليه أن يتكفلوا بدفع كل ما يمكن دفعه ثمنا لكمنجة توازى تلك التى فقدت . . وفعلا تم لهم ما أرادوا وأعيد الى الشاب الروسى من الامل ما هون عليه مصابه ، وعاد ظهوره على مسارح نيويورك الكبرى مرفوع الرأس ، قرير العين ، موفور الكرامة .

فهل لا يزال فى العالم الجديد ، المادى النزعة ، السريع الحركة ، من تؤثر فيه الحوادث ، من نكبات الدهر ، ونازلات الاقدار وخطوبه ، فينزل من قمة الشرف الرفيعة ، الى طبقة البؤس الوضيعة ، ومن عبادة المال ، والجرى وراء الدولار الى العطف على بنى الانسان ! ؟

وكم مثات من الحوادث تقع يومياً على مرأى منا ومسمع ، وكم مثات كالشاب الروسى ينيخ عليه الدهر بكلكله ، بغير ما ذنب أو جريرة ومع ذلك يترك نسياً منسياً ، فلا يرق له فؤاد ، ولا ينزل عليه من السماء مال . . . فهل حظ المرء محسوب عليه حقيقة ؟

امتلاك الاراضى الزراعية

نحن فى عصر صناعي ، فمن الصناعة تستمد الامم ثروتها وقوتها ، والامة المتأخرة فى الصناعة متأخرة فى جميع نواحى الحياة . وأكثر المنتجات الزراعية منصرف الى امداد الصناعة بالمواد الاولية . ومع ذلك فللزراعة أهميتها وخطورتها لان أهم فروع الصناعة يقوم على تحويل المنتجات الزراعية الي مصنوعات ، ولان عدد الفلاحين فى أرقي الامم الصناعية يفوق عدد العمال فى أية صناعة من الصناعات . فمن الخطأ أن نتجاهل أهمية الارض فى الحياة الاقتصادية حتى فى اكثر الامم رقياً واعتماداً على الصناعة . ومن الخطأ أن نتناسى أن من أهم أسباب عطل العمال سوء توزيع السكان بين الريف والمدن نتيجة إهمال الزراعة والانكباب على الصناعة مما دعا فريقا من الاقتصاديين أن ينادوا بان رجوع التوازن بين الزراعة والصناعة لا بد منه إذا أردنا علاجاً صحيحاً لهذه الاضطرابات العنيفة التى تتميز بها الحياة الاقتصادية الحديثة

واذا كانت فرنسا أقل الامم الاوربية تأثراً بالازمة الحاضرة فذلك راجع قبل كل شيء الى أنها احدى الامم القليلة التى اهتمت بالزراعة كما اهتمت بالصناعة فلم تنصرف عن الزراعة الى الصناعة كما فعلت انجلترا التى لا يزيد عدد الفلاحين فيها على ١٠٪ من مجموع العمال، ولم تهمل الصناعة وتكتفى بالزراعة كما فعلت مصر التى يعتمد ٨٠٪ من سكانها على الزراعة اعتماداً تاماً

وانصراف العمال عن الزراعة الى الصناعة راجع الي أن أجر العامل فى المصنع ارفع بكثير من أجر الفلاح فى الحقل . ومهما نادى الاقتصاديون والاجتماعيون بان نمو الصناعة وتقدمها على حساب الزراعة يسيء الى العمال كما يسيء الى المجموع فان العمال لن يرجعوا الى الارض ما بقيت الاجور الزراعية أقل من الاجور الصناعية

والوسيلة الوحيدة التى تمكن الزراعة من أن تعيد اليها من هجرها هى أن تهيىء للزراع ما تهيئه الصناعة للعمال وهذا لا يتحقق إلا اذا تغيرت النظم الزراعية تغيراً شاملا يتناول قبل كل شيء نظم امتلاك الاراضى . فما هى هذه النظم ؟

امتلاك الاراضى

أولا — نظام الملكية الصغيرة أى تقسيم الاراضى الزراعيـة الى مساحات صغيرة وتوزيعها على الفلاحين . وهذا النظام منتشر فى فرنسا منذ الثورة الكبرى فقد قسمت أملاك الاشراف ورجال الكنيسة وبيعت للفلاحين بأثمان زهيـدة ميسورة . ففى أواخر القرن الماضى كان عدد سكان فرنسا ٣٥ مليوناً منهم ٦٠٠ر٥٠٠٠ مالك صغير

ثانياً — نظام الملكية الكبيرة أى تكون الاراضى الزراعية محصورة فى أيدى عدد قليل من المالكين . وانجلترا معروفة بالملكيات الكبيرة لاتباعها نظام الوراثة الموقوفة الذى يقضى بانتقال جميع أملاك الوالد الى ابنه الاكبر وحده ويحرم على الوارث بيع جزء من أرضه الموروثة رغبة فى حفظ كيان الاسرة فى المجتمع . فحوالى ٤٠٠٠ شخص فى انجلترا يملكون ١٩ مليون فدان أى ١/٢ مساحة أرضها المزروعة ولا يقل نصيب الواحد منهم عن ١٠٠٠ فدان . ونصف أراضى انجلترا وويلز يملكها ٥٠٠ر٢ شخص .

وجملة المالكين فى انجلترا ٠٠٠ر١٥٠ شخص أى ١/٢٧ من مجموع السكان

أما مصر فوسط بين انجلترا وفرنسا كما يتبين من الاحصاء الآتى :

١) ٠٠٠ر٤٧٠ر١	شخص يملكون	أقل من ٥ أفدنة	ومتوسط الملكية	أقل من ١ فدان
٢) ٠٠٠ ر٨١	» »	من ٥ ـ ١٠ »	» »	٧ أفدنة
٣) ٠٠٠ ر١٣	» »	» ٢٠ ـ ٣٠ فداناً	»	٢٥ فداناً
٤) ٠٠٠ ر ٩	» »	» ٣٠ ـ ٥٠ »	» »	٤٠ »
٥) ٠٠٠ر١٤	» »	أكثر من ٥٠ »	» »	٢٥٠ »

فعدد الملاك فى مصر أقل من ٠٠٠ر٦٠٠ر١ شخص واذن فيوجد ١٣ مليون مصرى لا يملكون سهماً واحداً من أرض وطنهم بينما يملك ٠٠٠ر١٤ شخص أكثر من نصف الاراضى . ويجب أن نذكر أن أكثر من ١٥ ٪ من كبار الملاك هم من الاجانب وأكثرهم سلب أملاكه بطريق الربا الفاحش . واذا كانت انجلترا أكثر سوءاً من مصر فى توزيع أرضها فأن هـذا لا يدل على أننا من الوجهة الاقتصادية أحسن من الانجليز لاننا شعب زراعى نعتمد فى ثروتنا على الزراعة وحدها بخلاف انجلترا التى لا تذكر زراعتها بجانب صناعتها

ثالثاً — نظام الملكية المشاعة أى تكون جميع الارض ملكا لجميع الناس وهذا الرأى لم يتعد دائرة أحلام الفلاسفة واقتراحات بعض الاقتصاديين اذا استثنينا روسيا الشيوعية التى حققته فى جزء كبير من أرضها

ومن الناحية التاريخية نجد أن الملكية المشاعة سبقت الملكية الكبيرة وهذه سبقت الملكية الصغيرة . فالارض فى العصور التاريخية الاولى كانت ملكا مشاعاً لجميع الناس يستثمرها من يشاء بصيد حيواناتها واقتطاف أثمارها ، ثم أخذت كل قبيلة تملك جزءا من الارض وتستوطنه فنشأت الملكيات الكبيرة ، ثم قسمت أملاك القبائل بين أفرادها فتكونت الملكيات الصغيرة

وسنعرض فيما يأتى الآراء المتعلقة بهذه النظام الثلاثة

الملكية الصغيرة -

تتلخص الفوائد التى يعددها أنصار هذا النظام فيما يأتى :

أولا — زيادة الانتاج الزراعى . فاذا كان هناك فلاحان أحدهما علك قطعة من الارض والآخر يستأجر قطعة مساوية لها فى مساحتها مماثلة لها فى خصوبتها وموقعها والاثنان يتبعان فى الزراعة نظاما واحداً ويستخدمان آلات واحدة ، فأيهما بعد هذا يقبل على زراعة الارض أكثر من الآخر ، فيجهد نفسه فى العمل ويبذل فيها كل مجهود ؟ لا شك أن المالك أكثر من المستأجر تعهداً لارضه واهتماماً بها لان كل ما تنتجه عائد عليه وحده ، بخلاف المستأجر الذى لاينال من نتاج الارض إلا جزءا يسيراً بينما يستأثر مالكها بالجزء الموفور . وهذا الاهتمام فوق أنه يذكى روح الجد والنشاط فى العمل فانه يزيد الانتاج الزراعى وما ينتج عنه من يسر ورخاء للافراد وللمجموع

ثانياً — تحسين أحوال الفلاحين . فى حالة الملكيات الكبيرة يكون العامل الزراعى مستأجراً أو أجيراً وربحه فى الحالين ضئيل تافه لا يتجاوز أجر الكفاف رغم مايبذل من جهد وما يحمل من هوان بينما يستأثر المالك بالربح وهو لم يبذل أقل مجهود . وهذا الفقر الذى يستغرق فيه الفلاحون يلاصقه دائماً أبداً انحطاط فى نواحى حياتهم كلها : الصحية والاخلاقية والثقافية . وهذا الانحطاط الذى ينغمس فيه أفراد السواد الاعظم يتجسم فى حياة المجتمع على صورة الفساد الذى تتبينه فى شئوننا الاقتصادية والاجتماعية . أما

إذا قسمت الملكيات الكبيرة بين هؤلاء العمال عاد عليهم بربح كل ما يتنجون فتستخلصهم من الفقر ثم من الجهل والتأخر والفساد

ثالثاً — موازنة فروع الحياة الاقتصادية : أي الاحتفاظ بأهمية الزراعة الى جانب الصناعة . فلن انخفاض مستوى الحياة بين الفلاحين يدفعهم من الريف الى المدن . وهذه هي المشكلة التي يشكو منها اليوم كثير من دول العالم لما يترتب عليها من اهمال الزراعة وعطل عمال الصناعة ومشاكل الصحة والتعليم والمساكن في المدن الصناعية

رابعاً — انماء عاطفة الوطنية في قلوب الزراع لان امتلاك الفرد قطعة من أرض وطنه يربطه به بوشيجة وثيقة ويشعره بأن حقه هذا يقابله واجب عليه للوطن يستلزم منه العمل والكرامة والاخلاص

ولكن بعض الاقتصاديين ينتقد نظام الملكية الصغيرة ويراها تحرم الزراعة من مزايا الانتاج الكبير الذي لا يتحقق الا في حالة الملكيات الكبيرة

الملكية الكبيرة

تتلخص مزايا الملكيات الكبيرة فيما يأتي :

أولا — القدرة على استخدام الآلات التي تقلل نفقات الانتاج فيربح المنتجون وتسبب هبوط الأثمان فيستفيد المستهلكون . وهذه الآلات هي التي تمكن القمح الاسترالي من أن يباع في القاهرة بأرخص من ثمن القمح الذي يزرع في الشرقية أو المنوفية لان استراليا باستخدامها الآلات الحديثة في الاعمال الزراعية تقتصد النفقات الباهظة التي تقتضيها الايدي العاملة

ثانياً — الاقتصاد في شراء الاسمدة والبذور والآلات لقدرة المشترى على الشراء بالجملة وكثرة الراغبين في البيع اليه واستطاعته الحصول على ما يلزمه من المال بفائدة ضئيلة لتوفر الثقة به

ثالثاً — القدرة على الاستغناء عن الوسطاء، وعلى اختيار أنسب الاوقات وأروج الاسواق لبيع محصولاته

ولكن هذه المزايا العظيمة يمكن أن تتحقق في حالة الملكية الصغيرة وقد لا تتحقق في حالة الملكية الكبيرة لان الملكية شيء والمزرعة شيء آخر

الملكية والمزرعة

فليست كل ملكية كبيرة تتخذ نظام الانتاج الكبير ، وليست كل ملكية صغيرة مضطرة الى اتباع نظام الانتاج الصغير . فالمالك الكبير الذى يؤجر ارضه لصغار المزارعين تتكون من أرضه مزارع صغيرة بقدر عدد المستأجرين ، فى حين أن الشخص الذى لا يملك شيئاً أو يملك جزءا قليلا إذا استأجر أرضاً من صغار الملاك تكونت لديه مزرعة كبيرة فساحة الاراضى المملوكة لشخص لاعلاقة لها بطريقة استغلالها كمزرعة كبيرة أو صغيرة

إذن لو وجدت قرية مساحتها ٥٠٠ فدان موزعة على ٥٠ شخصاً تختلف ملكية الفرد منهم بين ٥ و٢٠ فداناً لوجد بذلك نظام الملكية الصغيرة . وفى الوقت ذاته يستطيع هؤلاء الملاك الصغار أن يكونوا مزرعة واحدة تتبع نظام الانتاج الكبير وذلك بتكوين جمعية تعاونية ذات ٥٠٠ سهم ، كل سهم ينوب عن فدان ، فتحل هذه الجمعية محل المالك الكبير وبذلك لا تحرم الملكيات الصغيرة من فوائد الانتاج الكبير . بل إن هذا النظام — نظام ملكيات صغيرة تكون مزرعة كبيرة — أفضل من نظام ملكية كبيرة تزرع كأنها مزرعة كبيرة وذلك من الوجوه الآتية :

أولا — أن استخدام الآلات التى تعمل على هبوط نفقات الانتاج هبوطا هائلا لا يستفيد منها فى حالة الملكية الكبيرة إلا مالك الارض وحده ، أما فى حالة الملكية الصغيرة فكل الغنم عائد على المزارعين . كما أنهم فى هذه الحالة لا يتعرضون للعطل والفاقة بسبب استخدام الآلات . ومثل هذا يقال فى الاقتصاد فى أثمان البذور والاسمدة والآلات ، وفى الحصول على الاموال اللازمة فى الزراعة ، وفى اختيار الوقت المناسب والسوق الرائجة لمبيع المحاصيل

ثانياً — لوحظ أن كبار المزارعين لا يستطيعون العناية بتربية الطيور والدواجن والانتفاع من الالبان بعكس صغار المزارعين الذين يخصصون هم ونساؤهم وأولادهم عناية فائقة فى تربية الدواجن وصنع الالبان ، وقد فشلت المزارع الكبيرة فى هذا السبيل لعدم عناية العمال المزارعين المأجورين

الملكية المشاعة

يرى أفلاطون فى جمهوريته أن تكون جميع الاراضى ملكا للدولة وهى تعطى كل

فرد ، رجلا أو امرأة ، جزءا لزراعته والاتجار بمحصوله حتى إذا انقضت حياته عادت الارض الى الحكومة . أي لا تسمح الجمهورية بالامتلاك الفردي للاراضي التي يجب أن تكون ملكا مشاعاً بين جميع الافراد

وقد انتهى الى هذه النتيجة جميع أصحاب الطوبيات من افلاطون الى ه . ج . ولز . وأحسن من تكلم في شيوعية الارض الكاتب الامريكي هنري جورج في كتابه « التقدم والفقر » الذي يعده برنارد شو أكثر الكتب تأثيرا فيه

يرى هنري جورج أنه كلما ازدادت الثروة العامة ازداد الفقر انتشاراً . فى افريقيا الوسطى لا نجد من يستحق أن يسمي غنياً ، ولكنا لا نجد هؤلاء الذين لا يجدون القوت الضروري في الاقطار الغنية . وهذا لا يرجع الى تنافر مصلحة العمال والممولين ولا الى عجز الطبيعة عن كفاية الناس ، بل الى الامتلاك الفردي للارض والعلاج الوحيد هو جعل الارض ملكا مشاعا ، والامتلاك الفردي مناف للطبيعة . فكما أن لجميع الناس حقوقا متساوية في الهواء والضوء كذلك يجب أن يكون لهم حقوق متساوية في الارض . والطريقة التي يشير بها هنري جورج لالغاء الامتلاك الفردي هي التي نبهت الاذهان وألبت عليه الاحزاب في أمريكا وأوربا

يرى ألا تمتلك الحكومة الاراضي بل تتركها لملاكها وتأخذ منهم ايجارها ما عدا جزء بسيط يترك لهم في نظير تأجيرها وهذا الايجار يغني الحكومة عن جميع الضرائب الاخرى أي يكون إيجار الاراضي الزراعية ضريبة تأخذها الحكومة من الملاك الحاليين وتكتفي بها عن جميع الضرائب الاخرى . ولذلك يعرف هذا المشروع بمشروع الضريبة الواحدة . وهذه هي الضريبة الوحيدة العادلة وما عداها يعوق الانتاج ويثقل كاهل المستهلك . ويذكر في كتابه هذه الفقرة من تقرير لجمعية حرية التجارة في أمريكا :

« يستيقظ الفلاح فيلبس رداء فرضت عليه ضريبة قدرها ٤٠ ./. من قيمته وحذاء أخذت عليه ضريبة قيمتها ٤٠ ./. ويشعل لفافة بعود ثقاب ضريبته ٢٠٠ ./. من قيمته وهذه هي حالته طول حياته حتى تقضي عليه الضرائب فيلقى في قبره بحبل أخذت عليه ضريبة قدرها ٤٥ ./. » . أما جميع المرافق الانتاجية الاخرى فيتركها هنري جورج كما هي بخلاف الاشتراكيين الذين يرون أن تكون جميع المرافق المنتجة في يد الحكومة

عبد الحميد عبد الغني

الرثاء فى الشعر الانجليزى

توماس جراى ومرثيته الخالدة

يحق للغة العربية أن تفخر على باقى اللغات بالقصائد الرائعة التى قيلت فى الرثاء والتى سارت أبياتها مسرى الامثال والحكم . ومن منا لا يذكر قصيدة المعرى التى مطلعها :

غير مجد فى ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شاد

وما اشتملت عليه من الآراء الفلسفية والدينية التى اشتهر بها المعرى ؟ بل من منا لا يذكر قصائد حافظ ابرهيم التى قالها فى الامام محمد عبده ومصطفى كامل وسعد زغلول حتى أن احمد شوقى وجد أن أبلغ مرثية يرثي بها زميله الراحل قوله :

قد كنت أوثر أن تقول رثائى يا منصف الموتى من الاحياء

لكن سبقت وكل طول سلامة قدر وكل منية بقضاء

أما فى اللغة الانجليزية فقصائد الرثاء معدودة إلا أنها تلفت الثروة من الفن الادبي ولعل قلتها وروعتها ترجع الي المزاج السكسوني الذى لا يشغل نفسه كثيراً بفلسفة القضاء والقدر وما وراء الموت

وأهم قصائد الرثاء فى الشعر الانجليزى قصيدة الشاعر وولف يرثي بها السير جون مور الذى قتل فى كورانا من أعمال اسبانيا فى أثناء حروب نابليون وفيها يقول :

« لم يحو جثمانه نعش ولم نلفه بكفن ولكنه رقد فى قبره ملتفا بحلته العسكرية كبطل يأخذ قسطه من الراحة »

وثمة قصيدة أخرى كتبها ملتون فى رثاء صديقه ادوارد كنج الذى غرق فى أثناء سياحته لارلندا وسماها « لسيداس » . وقصيدة الشاعر الرقيق شلى المسماة « أدونيس » يرثى بها الشاعر جون كيتس

إلا أن أروع قصيدة رثاء فى الشعر الانجليزى بأجماع النقاد والادباء هى قصيدة

م — ٤

توماس جراى التى عنوانها «مرثية كتبت فى فناء كنيسة قروية» ولا يكاد يوجد شخص يلم باللغة الانجليزية لم يسمع عنها أو يحفظ بعض أبياتها والانجليز يعتبرونها أسمى ذخيرة فى الشعر الانجليزى عامة وفى الرثاء خاصة لما اشتملت عليه من البلاغة والدقة فى تأدية المعنى . ومما يحكى عن تعلق الانجليز بها أنها فى الوقت الذى ظهرت فيه انجلترا كانت الحرب مشتعلة بينها وبين فرنسا فى كندا وكان الانجليز يحاصرون ميناء كويبك بقيادة الجنرال وولف . فنى ليلة الهجوم كان الجنرال مع أركان حربه يعبرون نهر سنت لورنس خفية تحت جنح الظلام فى قوارب خفيفة ليستولى على هضبة تشرف على الميناء وكان يتلو على مسامع ضباطه مرثية جراى بصوت خافت وبعد أن انتهى منها التفت الى رفقائه وقال : «انى لافضل أيها السادة أن أكون مؤلف هذه القصيدة من أن أستولى على كويبك»

وقال عنها الدكتور جونسون «ان مرثية فناء الكنيسة مفعمة بالعواطف التى تجد لها صدى فى كل صدر والآراء التى تتراءى صورها فى كل مخيلة» والدكتور جونسون هذا أكبر أدباء الانجليز وقد اشتهر بقسوة حملاته على الكتاب والشعراء حتى لقد قال عن شكسبير أنه «لم يكتب ستة أبيات متتالية جيدة !»

بدأ توماس جراى يكتب قصيدته سنة ١٧٤٢ فى فناء كنيسة ستوك بوجيس فى مقاطعة بكنجهام وأتمها بعد ثمانى سنوات ويوجد الآن بجوار الكنيسة أثر تذكارى أقامه المستر جون بن سنة ١٧٧٩ ونقش عليه بعض أبيات من القصيدة

وتوجد الآن ثلاث نسخ من المرثية مكتوبة بخط الشاعر نفسه إحداها محفوظة فى المتحف البريطانى والثانية فى مكتبة كلية بمبروك والثالثة اشتراها السير فرازر بمبلغ ٢٣٠ جنيه سنة ١٨٧٥

وتمتاز قصيدة جراى عن باقى المراثى بأنها لا ترثى شخصاً معيناً بل هى تأملات وآراء جاشت بها نفس الشاعر وهو جالس فى فناء الكنيسة القروية وحوله قبور الفلاحين البسطاء من أهل القرية كل منهم راقد فى حفرته الحقيرة تحت أشجار الصفصاف العالية

بدأ جراى قصيدته بقوله :

« دق الجرس دقات الحزن مؤذناً بانتهاء النهار »

« وسارت الماشية في طريقها الملتوي وسط الحقول »

« ورجع الفلاح الى منزله متثاقلا من التعب »

« وتركني وحيداً في ظلام الليل »

ثم استمر يصف ما حوله من المناظر الطبيعية عند ما يخيم عليها الظلام وانتقل منها الي المقابر الحقيرة التي تضم رفات المزارعين الذين شبوا وماتوا على البساطة والسذاجة لم تصفهم المدنية ببريقها الخلاب وزخرفها الكاذب وكيف أن هواء الفجر المنعش وتغريد العصافير وصياح الديكة لن توقظهم بعد الآن ليستأنفوا حياة البساطة وسط المزارع والاشجار كما كانوا وهم أحياء.

وكيف ان نار الموقد لن تشتعل منتظرة رجوعهم آخر النهار كالمعتاد وربة المنزل لن تهرع لاستقبالهم والاطفال لن تتسابق لتتسلق على أرجلهم كي تحظى بقبلة المساء

وبعد أن يسهب في حياتهم الساذجة يقول :—

« فلا يحتقر أهل المطامع هذه الاعمال المفيدة »

« ولا يهزأوا بوسائل هوائهم البريئة وطلباتهم الحقيرة »

« ولا يجدر بأهل النفوذ والعظمة أن يقابلوا بابتسامة السخرية »

« تلك الحياة البسيطة القصيرة الاجل »

« إن كبرياء الانساب وفخفخة الغنى »

« وكل ما يجلبه الجمال والثروة من القوة »

« كل هذه تنتظر الساعة المحتومة »

« إن سبل المعالي كلها تؤدي الي القبر »

بعد ذلك يلتفت الى العظماء وأهل النفوذ ويتوسل اليهم ألا يحتقروا سكان هذه القبور البسيطة لعدم وجود تماثيل أو نصب تذكارية فوقها قائلا لهم :—

« هل تستطيع تلك الزخارف والتماثيل المتقنة »

« ان تعيد نسمة الحياة الى مسكنها »

« وهل تستطيع الشهرة أن تحيي ذلك الرفات الهامد »

« أو العبارات المنمقة أن تلين قلب الموت القاسى »

ثم يذكر كيف أن من سكان هذه القبور من كان يمكنه أن يصير شاعراً مثل ملتون أو قائداً مثل كرمويل لو قد ساعدته الظروف ومع أن الوسط الذى عاشوا فيه لم ينمّ فيهم حاسة النبوغ الكامنة ولم يؤد بهم الى العظمة والقوة فانه من جهة أخرى لم يدفع بهم الى سفك الدماء وارتكاب الموبقات فى هذا السبيل

ويختم الشاعر قصيدته بأبيات تكتب على قبره عند ما تحين وفاته وفيها يقول :

« بالله عليك لا تستقص عن حياة ساكن هذا القبر إن خيرا وان شراً فقد وضعها كلها بين يدى خالقه فى رهبة وخشوع منتظراً يوم الحساب فى خشية وتواضع لعله يصير أهلا للحياة الابدية »

وتوفى توماس جراى فى ٣٠ يولية سنة ١٧٧١ بالغاً من العمر خمسة وخمسين عاماً بعد مرض قصير لم يمهله أسبوعا ودفن فى كنيسة ستوك بوجيس بجوار رفات والدته وأقيم له أثر تذكارى فى دير وستمنستر سنة ١٧٧٨ بعد أن دون اسمه فى سجل الخلود

منية الحيط — الفيوم الدكتور فؤاد واصف

الصحة والمساكن فى انجلترا

بقلم الدكتور محمد زكى شافعى الذى انتدبته
مصلحة الصحة لدرس النظم الصحية فى انجلترا

يرجع تاريخ الاهتمام بالمساكن فى بريطانيا العظمى الى سنة ١٨٦٩ لما قررت لجنة الصحة الملكية المشكلة وقتئذ من فطاحل العلماء ان مدى مطالب الصحة العامة يتلخص فى اعداد السكان بكل ما هو ضرورى لمعيشة اجتماعية يتوافر فيها ما يحتاج اليه الانسان المتمدين عادة. ويشمل هذا بطبيعة الحال توريد المياه النقية وتصريف المواد البرازية وشق الطرقات والسكك الزراعية والسكن الصحى والتخلص من الفضلات والدخان وتوفير وسائل الاضاءة العمومية والتفتيش على الاطعمة واتخاذ ما يلزم نحو دفن الموتى وقيد المواليد والمرضى والمتوفين. وبعد ذلك بربع قرن أضيفت دراسة المناخ والطفيليات الحيوانية والنباتية والعدوى والميكروبات والتطهير ومعرفة منشأ الامراض المعدية. ثم بعد ذلك بربع قرن آخر أى فى وقتنا هذا أضيف الى ذلك البحث فى وفيات وأمراض الاطفال وفحص المدارس وأمراض المناطق الحارة والصحة الصناعية والامراض الزهرية والمناعة. فيرى من هذا أن مسألة الطب الوقائى والصحة العامة أصبحت مسألة بيولوجية أى أن مواضعها المتعلقة بالانسان وما يحيط به والعلاقة بينهما



الدكتور محمد زكى شافعى

وأهم ما يحيط بالانسان هو المسكن الذى قد يقضى فيه غالب وقته لان ضيقه وعدم صلاحيته للحياة لهما أسوأ الاثر على صحة ساكنه. فالضيق يفضى الى الازدحام وعدم الصلاحية قد يكون بسبب هذا الضيق أو لرداءة التهوية أو لعدم توافر الشروط الصحية بالمسكن. ولكل هذه الحالات آثار سيئة على الانسان يتبعها العجز عن العمل فالمرض ثم الموت ويدعو ذلك فى البيئات الصناعية الى البطالة المتكررة بسبب المرض. ومن الامراض التى يساعد الازدحام على انتشارها الامراض المعدية وخصوصاً السل هذا عدا عن التأثير النفسانى والخلق وقد يكون لهما من الضرر الذى لا يوصف على الخلق

العام للامة بصفتها وحدة يجب أن تكون رفيعة العماد سليمة الكيان ولذلك فان سياسة الصحة العامة في بريطانيا العظمى ترمي من حيث المسكن الى أمور ثلاثة : —

الاول – ايجاد فراش خاص لكل شخص وغرفة خاصة له . والثاني – التهوية المستوفاة ليتمتع كل شخص بهواء نقي متجدد . والثالث – مراعاة شروط النظافة داخل وفي مجاورات السكن . ويدخل في هذا كل ما يجب أن يكون عليه المسكن الصحي في جميع أجزائه ومن تصريف فضلاته ولذلك تقوم الآن حركة كبيرة في بريطانيا العظمى لازالة المساكن بل الاحياء الغير الصحية فتجد كل المجالس في هدم هذه المساكن وأقامة غيرها على نفقتها لسكنى العمال والفقراء

ولما صدر قانون سنة ١٩١٩ اهتمت المجالس بالعمل على اصلاح المنازل التي قد تكون مصدر خطر للسكان لان هذا القانون أعطاها سلطة انذار أصحاب هذه المنازل لاصلاحها وان لم يفعلوا تقوم المجالس بالاصلاح على نفقة أصحابها وان قصروا في الدفع أصبحت هذه النفقات ديناً على المنزل . غير أن المجالس صادفت عدة صعوبات خصوصاً من جهة تحصيل النفقات وقد تلوفيت بالقوانين الصادرة في سني ١٩٢٣ ١٩٢٥ ١٩٣٠

وقبل أن يصبح قرار المجلس نافذ المفعول فيما يتعلق بهدم مسكن أو حي بأكمله يرفع هذا القرار الى وزارة الصحة للموافقة عليه . وقد زرت في حي فقير في لندن (حي شردوتش) عدة مساكن ووكائل من التي اعتبرت غير صحية فوجدتها مكتظة بالسكان وفي حالة رديئة وفي بعضها توجد المراحيض خارج المساكن مواجهة لها وهي قذرة للغاية كما لا توجد بهذه المساكن حمامات أو مطابخ بالمرة . ثم زرت المساكن الجديدة التي بنى بعضها على نفقة المجلس المحلي والبعض الآخر على نفقة بعض الشركات فوجدتها عمارات كبيرة ضخمة محاطة بفراغ من الامام والخلف بعضه حدائق غناء والبعض ملاعب للاطفال وتتكون المساكن من شقق يختلف عدد غرفها من غرفتين الى خمس وأجرة المسكن من ٦ بنسات و٧ شلنات الى ٦ بنسات و٢٢ شلناً في الاسبوع ومعظمها حمامات ومطابخ وكلها تنار بالكهرباء وبها الغاز للطبخ وأرضها بالخشب المطلي وتسكن الاسرات بها وفقاً لعدد سكانها وقد روعيت بلا شك كل الشروط الصحية ولا سيما الهواء والضوء اللازمان للصحة

وقد شاهدت مثل ذلك فى حى « كنجستن » أيضاً وفى يورك غير أن المساكن فى يورك التي يقيمها المجلس عبارة عن بيوت مستقلة متلاصقة وقد تسكن المنزل عائلتان واحدة فى الدور الارضى والثانية فى الدور العلوى ولكل باب خاص وأجرة السكن تبدأ من ٦ بنسات و٤ شلنات ولا تتجاوز ٦ بنسات و١٢ شلناً فى الاسبوع

ويقوم بالتفتيش على المنازل معاونو الصحة وقد قمت مع المعاون الاول فى الاحياء المذكورة بالتفتيش على بعض المساكن الغير الصحية وكان معنا دائماً المعاون المخصص لتنفيذ قانون سنة ١٩٣٠ فكان يحصل أولا على اذن بدخول المنزل يوقع عليه المالك والساكن وكان التفتيش يشمل مواقع الغرف وإيجارها ومساحتها التكعيبية ومساحة الشبابيك و ان كانت تفتح لاعلى والمواقد والمداخن والضوء والتهوية ومكان الطبخ ومخازن الطعام وحالة النظافة وعدد السكان والاطفال والامراض المعدية وغير المعدية التى حصلت بالمنزل ثم التفتيش على الجدران والسقوف والاسطح والسلم واسناده والضوء الصناعى والمياه وموردها وكيفية تصريف الفضلات والمجارى والماء العادم وعدد الصنابير والبالوعات التى بالمنزل وخزانات المياه والمواد المصنوعة منها كل ذلك والمراحيض ومجالسها وعددها وأنواعها ومحال الغسيل وأواعيه ثم الغرف الارضية (البدروم) والعناية موجهة الى الغاء هذا النوع من الغرف

وبعد ذلك يدون المعاون الاصلاحات اللازمة ومتى أقرها المهندس تعلن بواسطة الادارة الصحية أولا بطريقة ادارية فاذا لم ينفذها المالك تعرض على اللجنة الصحية بالمجلس فيوجه انذاراً الى المالك ويعطيه مهلة هى غالباً ثمانية أسابيع فاذا لم يتم الاصلاحات تعمل على حسابه . ويندر أن لا يتم صاحب المنزل الاصلاح على حسابه . وفى حالة هدم منزل وبنائه من جديد قد يؤجر المجلس المنزل ليحصل على ما تكبده فى الهدم والبناء من المال .

ولاذكر على سبيل المثال نتيجة هذه الحركة فى قسم كنجستن بلندن وعدد سكانه كان فى سنة ١٩٣١ ــ ٨٩٣ ١٨٣ ـ وكثافة السكان بهذا القسم ٧٨٫٩ لكل ايكر (فدان انجليزى) بينما أن النسبة فى لندن جميعها ٥٧٫٧ وفى قسم ستبنى بشرق لندن حيث يوجد البحارة والصينيون والاغراب ١٢٧ وفى شردرويش بشرق لندن أيضاً ١٤٧ وفى سوتورك ١٥١ وشياخنا جلبورت ونورلند بهذا القسم أشد الاقسام زحاما حيث النسبة بهما ٢١٠ و١١١

لكل فدان وفى هاتين الشياختين تجرى معاول الهدم فى المساكن المزدحمة والغير الصحية وينقل سكانهما الى مبانى المجلس الصحية وقد لوحظ أن حساب نسبة السكان على أساس مساحة القسم أو الشياخة مضلل لانه قد يكون معظمها حدائق أو أراضى فضاء او مصانع أو محطات أو غيرها ولذلك وجد أن الادق ان تحسب النسبة بواقع الجزء المسكون ويوجد فى القسم المشار اليه على هذا الحساب ١٣٢ شخصاً لكل فدان مسكون وفى لندن جميعها ١٢٦ لكل فدان مسكون وفى شياختى جلبورن ٣٢٩ وفى الشياخة الاخرى ١٥٢ وقد زادت المساكن المستقلة فى العشر السنوات الاخيرة ١٨ و٧ فى المائة بينما ان عدد الغرف قل الآن الى ٦ر٨٠ لكل مسكن عما يقابلها فى سنة ١٩٢١ حيث كانت ٧ر١٨ ومتوسط عدد الافراد فى العائلة الواحدة ٣ر٣٢ بينما انه كان فى سنة ١٩٢١ — ٣ر٦٨ وعدد الاشخاص لكل غرفة ٨٠ ر٠ وقد كان ٨١ ر٠ فى السنة المذكورة

وكان المجلس يمتلك ١٢٠ مسكن (قبل الحرب) وامتلك بعد الحرب ٣٨٧ مسكن و٥٤ كوخا وفى سنة ١٩٣٢ ابتنى عمارة بها ٢٠ مسكناً وقد عين مديرة لكل هذه المساكن وتساعده فى اقامة مساكن صحية عدة جمعيات متطوعة لا تطمع إلا فى القليل من الربح والساكن الذى لا يمكنه الدفع بالمرة او دفع جزءاً فقط من اجرة سكنه يقوم المجلس بالدفع نيابة عنه

وبهذا العمل الجليل قل عدد العائلات القاطنة بالمساكن المزدحمة فى العشر السنوات الاخيرة لتسعماية واربعين عائلة

ويجرى حصر واستعراض الحالة الصحية بمساكن العمال والفقراء باستمرار ومعها ما يشبه الوكائل بمصر والنزل الحقيرة وتفرض القوانين على المساكن التى يؤجرها اصحابها غرفة غرفة ان يوفروا لكل ساكن يزيد عمره على عشر سنوات ٣٠٠ قدم مكعبة فى غرفة النوم و٤٠٠ قدم للغرفة التى تستعمل للنوم والجلوس ولمن كان عمره اقل من عشر سنوات ١٥٠ و٢٠٠ قدم بالتعاقب

وحركة التفتيش والاصلاح قائمة على قدم وساق فى جميع الجهات وفقاً لمشروع المساكن الذى وضعته وزارة الصحة وقد الحقت بهذا نماذج الاَرنيك والمنشورات الخاصة بموضوع المساكن

الشعراء الخالدون

هوميروس ـ أبولونيوس ـ فرجيل

أبو العـــلاء ـ دانتي ـ ملتون

للقارىء أن يدهش من هـذا العنوان العجيب الذى جمع اليونانى والاسكندري والرومانى والعربى والايطالى والانجليزى فى دائرة واحـدة ليس مركزها فى وسطها كما تقول الهندسة بل هو فى أولها ان كان لمحيط الدائرة أول أو آخر !

ومن الكلام المعتاد أن نقول أن هوميروس اليونانى الذى عاش فى القرن التاسع أو الثامن (جلبرت مورى وبورا) قبل الميلاد ، والذى أتى الى أثينا من شاطىء الاناضول الغربى ، هو صاحب الالياذة . واذا كان هذا من الكلام المعاد ، فما نحسب كثيرين يعرفون أبولونيوس الاسكندرى الذى عاش فى ظل البطالسة (٢٩٥ — ٢١٥ ق . م .) ونظم ملحمته الرائعة (أرجونوطيقا Argonautica) التى تضارع الياذة هوميروس فتنة وجمالا ، وتسمو عليها بحرارة الحب ولفحات الهوى التى لم تعرفها الالياذة

أما فرجيل فهو شاعر الرومان الفحل ، ومفخرة روما العتيد (٧٠ — ١٩ ق . م .) وهو ناظم قصيدة ال (أنيد Anead) التى يحاكى بها الياذة هوميروس ، ويضمنها أسطورة خلق رومة . وقد صارت الانيد أساس الادب اللاتينى فيما بعد ، وهى فى الحقيقة صدى لقصيدة أبولونيوس الاسكندرى ، وأكثر أبطالها هم صور الابطال الارجونوطيقا

واذا عرفنا ذلك عن هو ميروس وأبولونيوس وفرجيل ، فما لابى العلاء شاعر المعرة المتوفى سنة ٤٤٩ هـ . أى فى القرن الحادى عشر الميلادى ولهذه الزمرة من الشعراء الآريين ؟ وهل هو تعصب منا للعرب ، أو هو شيء من التباهى الذى عرفنا به ، هو الذى جعلنا نضع هذا الضرير العبقرى بين كواكب الادب الآري الذى هو أسمى أنواع الآداب ؟ لا ! بل هى مكانة أبى العـلاء التى تسمو الى مكانة هؤلاء ، قد رقت به الى مراتبهم ، وجعلته نجماً ساطعاً فى سماء الادب العالمي . وكتابه « رسالة الغفران » التى رد

بها على ابن القارح هي الآية المبصرة الى أنارت له طريق المجد الى جنة الخالدين .

والغريب أن هذا الضرب من الادب الهوميري الذى كاد الناس ينسونه طوال هذه الاحد عشر قرنا لا يمثله الا هذا الضرير العربي ، في عصر يعتبر من أحط العصور التى مرت بالثقافة الانسانية في جميع أطوارها ، وهناك أديب آخر من أدباء العرب هو « ابن رشيد » قد يكون سبق أبا العلاء الى احياء هذا اللون من الادب الهوميري ، ولكنا مع ذلك لا نراه يسمو الى منزلة أبي العلاء ، ولا الى منزلة هؤلاء الخالدين

ويقولون ان دانتي أليجيري قد عرف أدب أبي العلاء ، وأنه قد قرأ رسالة الغفران ، فنظم قصيدته (الكوميدية الالهية The Divine Comedy أو Divina Commedia (١٣٠٠ — ١٣٢١ م) متأثراً بها ، وقد كتب كثير من أساتذة الجامعات الاوربية يؤيدون هذا الرأى ، على أن الذى يمعن النظر في قراءة الكوميديا الالهية يرى غير ذلك اطلاقا ، سيما اذا ذاكر شروح وتعليقات ادموند . جردنر على ترجمة هـ . ف . كارى أو تذييلات ترجمة شاعر أمريكا الكبير لنجفلو في هاتين الترجمتين ، ومن الشروح الثمينة التى بهما ، يتضح أن دانتي قد تأثر الى مدى كبير بسلفه العظيم فرجيل ناظم الانيد وتلميذ أبو لونيوس الاسكندري (ناظم رودس) ، وقد أتى ذاكرا فرجيل في مواضع شتى من الكوميديا ، بل كان دانتي يقتبس منه لكثير من مناسبات قصيدته في أجزائها الثلاثة (الجحيم والمطهر والفردوس)

وأكثر مؤرخي العصور الوسطى والنهضة أجمعوا على أن دانتي هو الشبح الاخير من أشباح هذه العصور ، ان لم يكن أول الشخصيات العظيمة التى أيقظت روح النهضة في ايطاليا ثم منها في جميع أصقاع أوربا . على أن القرون الاحد عشر منذ وفاة فرجيل الى وفاة أبى العلاء ، أو الثلاثة عشر منذ وفاة فرجيل الى أن أتم دانتي الجزء الثالث من قصيدته (سنة ١٣٢١ م) ، نقول ان هذه القرون الطويلة لم تخل من لون عال من ألوان الآداب الشريفة ، فقد كتب سان جيروم (The Vulgate) سنة ٤٠٥ م . وكتب سان أوجستين (مدينة الله) سنة ٤٢٦ م . وكتب سان توماس Summa Theologica سنة ١٢٦٥ — ٧٤ م . غير أن ما قيل في مرتبة ما كتبه ابن رشيد الاندلسى هو ما يقال في آثار هؤلاء بالنسبة الى كوميدية دانتي

والفارق عظيم بين دانتي الكاثوليكي المغرق في الكثلكة ، المتعصب لكنيسة رومه ، الذي حشد في جحيمه نخبة المفكرين والنوابغ من جميع الامم : وبين شاعر المعرة الذي كان قلبه يفيض حناناً ورحمة ، ويعطف على الحيوان بقدر ما يعطف على الانسان . لقد كان أبو العلاء من طبقة أخرى غير طبقة دانتي . فأبو العلاء ثائر على الاديان ، متبرم بالحياة ثائر على التقاليد ، أما دانتي فحافظ يغلو فى محافظته الى درجة الرجعية المنكرة . حتى أنه فى مقاومته لاعداء الكنيسة ، لم يتورع من الاعتداء على سائر الناس من غير المسيحيين ، فافترض لهم أخبث الوان العذاب فى جحيمه ، تارة يفجر لهم أنهاراً من روث البهائم وبولها ، وتارة يطوف بهم فى متفجرات الحمم . ومرة يعلقهم من أقدامهم فى قبة من الحديد المشتعل ، ومرة يعلقهم من نواصيهم فى أشجار تحترق . وطوراً يربطهم من ألسنتهم فى دركات النار ، وطوراً يلهب أبدانهم بسياط محماة . . وهكذا . . فدانتي كان عدواً لاعداء الكنيسة وخصوم المسيحيين ، أما أبو العلاء فكان صديق الانسانية جميعاً ، يعطف على الناس ، ويسخر بالاديان ، ويتمنى للعالم اخاء وصفاء ومساواة ، من غير حاجة الى هذه الآلة التى حسبها عفى عليها الزمان . . ألا وهى الدين . .

أما جون ملتون فصاحب الفردوس المفقود ، وهو مثيل دانتي أليجيرى قد درس فرجيل وقرأه قراءة عميقة ، وساعده على فهمه وحسن مذاكرته اتقانه للغة اللاتينية التى كان يجيد نظم الشعر بها . وحتى ديوانه المطبوع حديثاً يضم كل ما نظمه فى الانجليزية (الفردوس المفقود والفردوس المعاد وبضعة قصائد أخرى) وما نظمه فى اللاتينية من مقطوعات ورقائق كثيرة . وقد أثر فرجيل في ملتون تأثيراً عظيماً ، حتى راح يقلده فى نظم فردوسه ، تلك الاقصوصة الدينية الرائعة التى تشرح خطيئة آدم ، وخروجه هو وزوجه من الجنة ، وكيف استطاع الشيطان أن يبدو لحواء فى شكل حية فى روض من رياض الجنة ، وأغراها بالاكل من شجرة التفاح ، وزين لها أن تنصح لآدم بالاكل منها ، ثم ما ترتب على ذلك من الخطيئة والحرمان ، وتوسط المسيح لدى الله ، ورضاؤه بافتداء الناس . الخ .
ومن أروع الاخيلة فى فردوس ملتون ، تلك الحرب الضروس التى استعرت نيرانها بين جيشى الابالسة جند الشيطان ، والملائكة جند المسيح

وكأن القضاء أبى الا أن يجمع بين ملتون وشاعر المعرة الضرير ، كما جمع بينه وبين

دانتى فى فرجيل وفى الدفاع عن فكرة دينية ان اختلفت فى المذهب فهى تتفق فى الغرض فقد فقد ملتون بصره ، واعتزل الحياة السياسية بعد أن كان سكرتير كرمويل طاغية انجلترا ، وأملي قصائده على بناته كما كان أبو العلاء يملى على كاتبه . ومرتبة ملتون بين الشعراء الانجليز هى كرتبة أبى العلاء بين الشعراء العرب ، فهم يقدسونه ويعتزون به ، ويجعلون منه طبقة وحده ، وان يكن لديهم شاكسبير وكولردج وبروننج وشلى وتنسون وغيرهم ، ، وهل ذهب أبو تمام والبحترى وابن الرومى والمتنبي بفضل المعرى ؟ . .

وبعد ؟ فهل أرادت عرائس الشعر أن تربط سلسلة التاريخ بهذا الرباط السداسى الجيل، وهل تغنى لنا على قيثارة القرن العشرين فنسمد بالشاعر السابع الذى يرسل أغنيته الخالدة فى سماء الالياذة والارجو نوطيقا والانيد ورسالة الغفران والكوميدية الآلهية والفردوس المفقود ؟ ...

وهل صحيح أن الشعر قد فقد سلطانه كما يرجف الكثيرون ؟

أن فى العالم شعراء على رأسهم طاغور وكبلنج ودانونزيو كنا ننتظر منهم الخير الكثير للشعر ، لكنهم أخلفوا الظن ، وغلب على شاعريتهم الفن الروائى الذى غلب على زميلهم شو . وإذا قيل هذا الكلام ، فهل ينتظر من الناطقين بالعربية شيء مما نحلم به للشعر ؟ ما نحسب هذا ، لان رسالة الغفران نفسها ليست شعر ؟

د . خ



لون الحيوان وأثره فى حياته

كثيرا ما يكون الانسان فى حقل أو حديقة ينظر نباتا ما ويكون أمام عينيه حيوان فوق النبات ولا يشاهده فاذا تحرك الحيوان بعيدا عنه لاحظه واذا أراد ان يبحث هذه الظاهرة ويعرف العلة فى عدم ظهور ذلك الحيوان وهو فوق الشجرة وجد ان العلة هى تطابق لون أو شكل الحيوان مع بيئته . أى اما ان يكون لون الحيوان كلون بيئته أو شكله متناسبا معها . فالفراش ذو اللون الاخضر لايظهر للعين عندما يكون ساكنا فوق الاوراق الخضراء التى يأكلها وذلك لأنه عندما يراه انسان أو حيوان آخر لايميزه عن الأوراق إذ يظنه ورقة من ورق الشجر. اما الفراشات الاخرى ذات الالوان غير الخضراء فتظهر جلية واضحة فوق الأوراق الخضراء . وكذلك الحال فى ضفادع الأشجار اذ أنها لاتظهر عندما تكون ساكنة فوق الأوراق الخضراء وذلك لأن لونها كلون الورق . وفراشة خشب الزان لاتظهر اذا نظر اليها من أسفل وهى ساكنة فوق شجرة الزان وذلك لأن سطحها السفلى مخطط وملون بالوان تشبه الوان وتخطيط أوراق الزان الجافة فاذا نظر اليها الانسان ظنها ورقة جافة واذا تحركت بدأت تظهر للعين

وهذه الظاهرة ليست مقصورة على الحيوانات التى تعيش فى الحدائق أو الحقول أو الغابات وانما هى تمتد الى الحيوانات التى تعيش فى البيآت المختلفة كالصحراوات والاماكن الجليدية إذ نجد أيضا تطابقا بين لون الحيوان ولون بيئته . ففى الصحراوات طيور وحشرات وزواحف وحيوانات من ذوات الاربع لونها كلون الرمل . فاذا نظرنا اليها وهى نائمة فوق الرمل ظننا أنها جزء من الرمل فالغزالة لايمكن تمييزها عن الرمل وهى نائمة فوقه فاذا تحركت ظهرت للانسان أو الحيوان . وكذلك الدببة والثعالب البيضاء التى تعيش فى القطب الشمالى لايمكن تمييزها عن الثلوج وهى نائمة فوقها

وظاهر أن مطابقة لون الحيوان مع لون بيئته تساعده مساعدة جدية فى حياته لأن عدوه لايستطيع تمييزه ولا رؤيته فيفر منه كما يتمكن من اقتناص فريسته وبذلك يبقى حيا ويتناسل وتنتشر سلالته . اما الحيوانات التى لونها لايتناسب مع البيئة فانها تموت

ولقد وجد المستر ثيير Thayer أنه في بعض الأحيان يكون لون الحيوان كلون بيئته ولكنه يظهر بوضوح تام فاذا كان الحيوان مستدير الجسم سميكه فانه يرى بوضوح تام اذا نظرنا اليه وهو تحت السماء ولو أن لونه كلون بيئته وذلك لحدوث ظل كثيف على سطحه السفلي فتتكون منطقتان من الضوء فوقه والظل اسفله فيظهر الحيوان ، ولكن إذا كان ظهر هذا الحيوان ملونا باللون الأسود وسطحه السفلي ملونا باللون الأبيض فان الحيوان لايظهر في الوسط الذى يعيش فيه . وذلك لتعادل الضوء والظل وقد بين هذه الحقيقة بالتجربة الآتية :—

أخذ أنموذجى بطتين بالحجم الطبيعي وثبت كلا منهما على طرف من طرفى عصا ووضع العصا في وضع أفقي على بعد سبع بوصات من قاعدة صندوق مفتوح من أعلى ومن الامام وغطى البطتين وجوانب الصندوق وقاعدته بقماش من لون واحد ونظر اليهما وهما فى وضع تحت مستوى النظر قليلا والصندوق مضاء بضوء السماء فرأى كلا منهما على أى بعد بوضوح تام أى انهما ظهرا رغم أن لونهما كلون الصندوق من الداخل أى كلون الوسط وذلك لعدم تعادل الضوء والظل . ثم أخذ فرشاة ولون ظهر أحدهما باللون الأسود ولون بطنها وأسفل رقبتها وتحت منقارها باللون الأبيض وجعل اللونين ممتزجين تماما عند حد الانفصال أى أنه لم يجعل حدا لانفصال اللونين ثم نظر الى البطتين وهما فى هذه الحالة وفى الوضع السابق فظهرت البطة التى لونها كلون الوسط على أى بعد بينما الأخرى ذات الظهر الأسود والبطن البيضاء لم تظهر بالمرة على بعد عشرة أقدام ولو كان الانسان قريبا منها تماما فانها تظهر على هيئة خيال خفيف الظل . وذلك للانسان العالم بوضعها بينما تختفي تماما على الانسان الجاهل بوضعها ولا يرى الا البطة التى لونها كلون داخل الصندوق واذا حجب ضوء السماء ظهرت البطتان . فلكى يختفي الحيوان المستدير الجسم سميكه لايلزم أن يكون لونه كلون الوسط وانما يجب أن يكون سطحه العلوى اسود اللون وسطحه السفلي أبيض فيتعادل الضوء والظل فيختفي الحيوان أمام أعين الانسان والحيوانات الأخرى . وإننا نشاهد هذه الصفة فى كثير من الطيور وهى واضحة فى البط اذ أن سطحه العلوى اسود والسفلي ابيض . وبعض الأسماك أيضا لها ظهر أسود وبطن أبيض وهذه الصفة تساعد الأسماك على الاختفاء من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى وبذلك

تستطيع ان تعيش وتتناسل فى حين أنها لو كانت ليست لها هذه الصفة لانقرضت اذ ان عدوها كان يستطيع صيدها كما أن فريستها تبتعد عنها عند رؤيتها

وقد بين المستر تيير Thayer أيضا انه ليس من الضرورى أن يكون لون الحيوان كلون الوسط وانما قد يكون الحيوان ملونا بالوان مختلفة وهذه الالوان فى مجموعها تسبب اختفاء الحيوان عن عين الانسان والحيوانات الاخرى وذلك لاختلاف تأثر شبكية العين بالالوان المختلفة فيظهر بعض الالوان ويتعادل تأثير البعض الآخر فتؤدى هذه الصفة الى عدم وضوح أو تميز الحيوان وقد بين هذه الحقيقة بالتمرينين الآتيين : —

اخذ أنموذجا لأبى قردان ولون رقبته وارجله باللون الاسود وباقى الجسم باللون الابيض فظهر هذا على بعد عشرين ياردة على هيئة قطعة من الحجر أو كهيئة جزء من ساق متصل به أوراق ذابلة . وفى التجربة الثانية أخذ قطعة من القماش لونها أخضر ثقيل وقصها على هيئة فراش ثم ألصقها على قطعة قماش اسود فظهرت الفراشة وبعد . ذلك وضع نقطة بيضاء فى وسط الفراشة ونظر الى الفراشة فلم تظهر وانما ظهرت نقطة بيضاء فى وسط أسود فقط وذلك لشدة تأثير اللون الابيض على شبكية العين بينما يتعادل تأثير اللونين الآخرين . وهذه الظاهرة نشاهدها فى كثير من الفراش

رأينا كيف يخدم اللون الحيوان ويكون سببا فى اختفائه عن أعين عدوه وفريسته فيفر من الاول ويقتنص الثانية فينمو ويتناسل وقد يكون اللون سببا فى انقراض الحيوان اذا لم يخفيه عن أعين عدوه وفريسته فيموت وتندثر سلالته . وقد يؤدى اللون عملا أكثر من ذلك فهناك الالوان المحذرة والالوان التى تجذب نوعى الجنس والالوان المميزة فلون الزاتير به تميزه عن غيره وتحذر منه أى يبتعد عنه ولكن اللون الذى يزعج وانا ما أمام أعيننا أى أعين الانسان المفكر القادر على التحليل قد يكون سببا فى اختفاء الحيوان عن أعين الحيوانات الاخرى

وخلاصة القول أنه قد يختفى الحيوان تحت تأثير لونه أو ألوانه المتعددة كما علمنا فى الحالات الثلاث السابقة وبذلك يستمر الحيوان فى الحياة . وقد لايخفيه وعلى ذلك تندثر سلالته

رياض . م . أبو السعد

غاندى والطعام

أصبحت علاقة الطعام بالاخلاق من الامور التى يسلم بها الاخلاقيون كما يسلم بها الاطباء . ولم نبلغ بعد اليوم الذى يمكن أن نكشف فيه عن كيمياء الجسم وكيف تمتزج سوائل الطعام بعصارة الغدد الصماء فتحرك الاعصاب والذهن وتنشط بعض العواطف أو تبلد البعض الآخر . ولكن هذا الباب قد فتح الآن وأوشكت السيكلوجية أن تعانق الفسيولوجية حتى أصبحنا نستهجن من يقول بأن الانسان يفكر بعقله لان التفكير هو ثمرة الجسم والعقل معاً

وقد نلاحظ على العظماء من قادة البشر الآن وفى الازمنة الماضية عنايتهم بطعامهم لانهم يرون أنه بعض أدوات تفكيرهم . وهذا غاندي مثلا أعظم مثال على تأثير الطعام فى الاخلاق . فان الرجل أراد أن يحارب الروح المادى بالذهن وأن يحتفظ مع ذلك بقوة الجسم والذهن حتى يستطيع خدمة أمته بل خدمة البشر . ورأى أن الشهوة الجنسية قوية عنده وهى تشغله عن نسكه وتجهد عواطفه . فكافحها بالاقلال من الطعام والاقتصار على الفواكه فعمه الضعف حتى صار لا يقوى على التفكير والجهد . فعمد الى لبن الماعز يشربه فأعاد اليه نشاطه السابق مع قليل من نشاط الشهوة الجنسية وهو نشاط يمكنه السيطرة عليه . وبهذا الطعام استطاع غاندي أن ينسك مع الاحتفاظ بسلامة ذهنه وقوة جسمه واعتدال عواطفه . أو هو بكلمة أخرى استطاع أن يجعل الطعام موافقا للاخلاق التى ينشدها لنفسه

وكل منا قادر على أن يفعل ذلك بان يدرس الطعام الذى يوافق الاخلاق التى ينشدها. ودرس الطعام الآن هو ميدان خصب وهو مع ذلك لا يزال بكرا فاحتمال الاكتشاف فيه ليس بعيداً . فلندرس مقدار الوجبة وعدد الوجبات فى النهار ومقدار السمن والتوابل واللحوم والخضراوات لكى نعرف أثر ذلك فى الحب أو البغض والنشاط أو التراخي والذكاء أو البلادة . فقد يكون اختزان السمن فى بيوتنا هو السبب الاصلى لخمول الذى يغمرنا بعد الظهر وقد يكون لذلك هو السبب لاجتراء المستبدين أمثال صدقى باشا على الاستبداد بالناس . وقد تكون كثرة التوابل سببا لتعدد الزوجات وكثرة الطلاق

أن الموضوع بكر وهو جدير بدرسنا جميعا لكى نصلح أخلاقنا بطعامنا

« س . م »

الادب اليابانى

فى عصوره المختلفة إلى اليوم

ليست هى النهضة اليابانية التى جذبت أنظار العالم قاطبة إلى اليابان، بل هى الغلبة اليابانية التى بهرت ألباب الأمم ، وحيرت أفهام المفكرين . وفرق بين نهضة اليابان وغلبتها ، فقد بدأت النهضة منذ سنة ١٨٥٩ ، حين قهر الاستعمار الغربي كبرياء اليابان ، وارغمه على فتح أسواقه للتجارة الاوربية ، فما لبثت الوطنية اليابانية أن استيقظت ، وما لبثت اليابان أن شاع فيها الشعور بالكرامة القومية ، فهبت تذود عن نفسها جشع الطامعين حتى توطدت نهضتها ، وسار الفوز فى ركابها حتى ندعمت جميع مرافقها ، تلك هى نهضة اليابان ، وقد انتهت منها الى ما قبل الحرب الكبرى ، وبدأت فى طور عجيب من أطوار حياتها حين ارتبك المحيط الاوربى بالحرب ، واشتغل بها عن سيادته فى الشرق ، فازدهرت الصناعة اليابانية ، وتبع ازدهار الصناعة ازدهار فى كل شىء ، فما هال أوربا بعد إذ وضعت الحرب أوزارها ، إلا أن ترى اليابان تزعزع سلطانها فى جميع أسواق الشرق الاقصى ، ثم ها هى تزعزعه اليوم فى جميع أسواق العالم حتى فى عقر الدار الاوربية نفسها ، وهذا هو طور الغلبة اليابانية

وكاد نمو الصناعات اليابانية يضع فى أذهان الناس أن اليابان إن هى إلا مصنع كبير كله آلات ودواليب تنتشر بينها فئات العمال ، فاذا قيل لهم إن بها نهضة أدبية لاتقل عن نهضتها الصناعية ، تضاحكوا ، وإذا قيل لهم إن الادب اليابانى أقدم من جميع الآداب الاوربية ، سخروا ولم يصدقوا !

غير أننا نلمس البرهان على ذلك فى النهضة الصناعية نفسها ، وهى كل ما يؤمن به الناس لليابان ، فنذكر أن اليابان صنعت من أفلام السينما فى سنة ١٩٣٣ ثلثمائة فلم أكثر مما صنعته بريطانيا فى هذه السنة . وهل أفلام السينما إلا ثمرة من ثمرات الادب العالمى فى عصر العجائب الذى نعيش فيه ؟

ولما كان لا بد لمن يريد الالمام البسيط بالادب الياباني أن يعرف شيئاً عن تاريخ اللغة اليابانية ، فانا محاولون أن نعطى القاريء نبذة قصيرة عنها يستنير بها فى تفهم هـذا الادب الشاب الفنى

والفيلولوجيون يختلفون أشـد الاختلاف فى منشأ اللغة اليابانية ، بقدر ما يختلف الا نترو بولوجيون (علماء الاجناس) فى منشأ الشعب اليابانى نفسه ، فهم يقولون ان اللغة اليابانية مزيج من الكوريه والمنشوية ، تختلط به ألفاظ كثيرة من الصينية . ولـكل صقع من أصقاع اليابان لهجته الخاصة وتعبيراته المستقلة التى تميزه من غيره من سائر « الاتحاد» اليابانية ، إن صح هذا التعبير العربى ، ويذهب بعض العلماء الى أن الشعب اليابانى يمت بالمغولة أو العمومة إلى النوع الطوراني الافريقى الذى يقال انه هاجر فى قديم الزمان من شرق أفريقيا إلى الساحل الاسيوى الجنوبي حتى وصل الي جزر الهند الشرقية ثم إلى اليابان . وينفى البعض هذا الزعم ، ويرجعون بهم الى النوع الاورالى الالطيقى (Ural Altaic) . ومهما كان الخلاف بين هؤلاء وهؤلاء، فن الثابت أن اللغة اليابانية لم تخط خطوتها الاولى فى سبيل التكوين إلا فى أواخر القرن الرابع الميلادى ، وهى على تبلبلها وتبو أعلامها تكاد تكون موسيقا كلها . وما ظنك بلغة فيها حروف العلة (a, e, i, o, u) خمسة وأربعون حرفا ؟ ولا تكاد تنتهي معظم كلماتها إلا بحرف علة ؟ فاذا لم تنته الكلمة بحرف علة لحقت بآخرها (ن) . واليابانية لا تعرف الاسماء الموصولة (Relatives) . والضمائر نادرة جداً وقليلة الاستعمال فيها ، وأسماء التفضيل غير معروفة فى صفاتها ، فاذا أرادوا التفضيل ، وذلك نادر جداً — استعملوا لفظتين تقابلان more, most الانجليزيتين . واللغة التى يتكلم بها اليابانيون غير التى يكتبونها ، ولذا يسمون الاولي (لغة أذن) والثانية (لغة عين) ! ! وهما غير العامية والفصحى عندنا ، فهاتان قريبتان جداً إذا قيستا بما فى اليابان . وللـكلمات الشائعة فى اليابان رموز تقرأ بها تشبه ما كان منها عند قدماء المصريين ، وليس للالفاظ اليابانية جمع ولا جنس ولا شخص (اسناد!!) ، والفعل يقع فى نهاية الجملة دائمـاً ، وللكتابة اليابانية طريقتان طريقة الطباعة والنسخ (بمعناه العربى) — Uncial — والكتابة (المشبكة) أي الرقعة أو الخط العادي Cursive — وتسمى الاولى (كاتاجانا) والثانية (هيراجانا) — والاجنبى الذى ينشد تعلم اليابانية

يتجشم الاهوال الجمة فى سبيل بغيته ، إذ عليه أن يستظهر من الكلمات الرمزية فقط ألفين على الاقل قبل أن يستطيع التفاهم القليل بهذه اللغة . ويذكر الاستاذ ج . إنجرام برلين فى كتابه الشائق عن الادب الياباني ، على سبيل الفكاهة ، مايقرره قساوسة بعثات الجزويت عن اللغة اليابانية « من أنها طلسمات من عمل الشيطان ليحول بها بين اليابانيين وبين تعاليم الانجيل ! » . ومن أشق العقبات على الاجنبي فى القراءة اليابانية وجود الآلاف من الرموز الوضعية (Homonyms) التى لا تنطق،وتفيد فى توجيه المعنى فحسب

وقد ظل اليابانيون يجهلون الكتابة زهاء القرن الرابع ، وكانوا لذلك يستخدمون الكتابة Ktaribe من الكوريين والصينيين ، واستطاعوا أن يتعلموها عنهم

الأدب الياباني :

يقسم الاستاذ ج . ا . برلن — أدب اليابان إلى الاقسام الآتية :

١ — العصر القديم من سنة ٤٠٠ إلى ٨٠٠ م
٢ — العصر الهيانى من سنة ٨٠٠ إلى ١٢٠٠
٣ — العصور الوسطى من سنة ١٢٠٠ إلى ١٦٠٠
٤ — العصر الاقطاعى من سنة ١٦٠٠ إلى ١٨٦٨
٥ — العصر الحديث من سنة ١٨٦٨ إلى اليوم

١ — وقد مضى شطر كبير من العصر القديم دون أن يكون لليابان أدب بالمعنى الصحيح ، حتى أنشئت العاصمة الامبراطورية (نارا) . فأصدر أحد الباطرة أمره إلى (الكاتاريب) — أى الكتاب الكوريين — بتدوين الاساطير التى تناقلها الالسن فى سفر كبير أطلقوا عليه اسم (كوجيكي) ذكروا فيه ما يقال عن خلق العالم واتحاد الجزر اليابانية الثمانى تحت اسم (ياماتو) ؟ ثم يتناولون منشأ العائلة الحاكمة . . ومن هنا تقديس اليابانيين لولى الأمر فيهم تقديساً يشبه التأليه . واليك مقدمة الكوجيكي : . . . « فى القدم كانت السماء والارض مادة واحدة من الهلام ، فسما جزؤها النقى الى عل وكان السماء ، وهبط ثقيلها الجامد إلى أدنى وكان الارض ، وهكذا ترقى الى السماء كل العناصر الطاهرة العلوية ، وتظل الارجاس الثقيلة متشبثة بالارض . وقد تم تكون السماء بأدهار طويلة قبل أن تأخذ الارض زخرفها ، وكان أن نشأت بين العلو والسفل (السماء والارض)

قوة خارقة سيطرت على كل شيء ، فكانت هي الله . . . » وتلى ذلك شروح طويلة عن توزيع السلطة بين الآلهة

وافتتاحية الكوجيكى تشبه افتتاحية (سفر التكوين) من الكتاب المقدس ، وهي مكتوبة بلغة ساذجة ، وتفيض بالوثنية والشرك البين . على أنها أقدم أثر أدبى فى اللغات الطورانية جميعاً ، وبعد أن انتهوا من كتابة الكوجيكى سنة ٧١٢ . بدأوا يكتبون مجموعة أخرى سموها (نيهونجى) أو الوقائع اليابانية ، تقص تاريخ اليابان إلى نهاية القرن السابع ، ومنها نعلم أن أول كاتب فى تاريخ اليابان هو موظف كورى فى البلاط الامبراطورى يدعى (واني) يرجع اليه والى زملائه الكثيرين الفضل فى كتابة هذين الأثرين الكبيرين من أدب اليابان . والنيهونجى مكتوبة بالصينية ، إلا أنها تحتوى كثيراً من الشعر اليابانى القديم . ومن هنا أهميتها كأثر عظيم

وقد ألفت مجموعة ثالثة أطلقوا عليها اسم (نوريتو) كلها أساطير إلهية . وقصص دينى هو الى الشعر أقرب منه الى شيء آخر — وما تزال النوريتو توحى الى أطفال اليابان أزهى ألوان الخيال

وكما هو الحال فى تاريخ الآداب القديمة ، نجد أن الشعر قد تقدم النثر فى تطور الادب اليابانى العظيم ، وقد جمعت الاشعار القديمة فى مجموعة كبيرة حافلة تسمى (مانيوشو) ذكرها الناقد اليابانى العظيم (كامو مابوشى) ١٧٧٠ فى واحد من كتبه فقال : « . . إنها أعظم أثر قديم يعبر عن المشاعر اليابانية ، من حب وبغض ، وإخلاص ووفاء ، وحفيظة وانتقام . فترى فى مرآته قلب المرأة اليابانية ، وعقل الرجل الياماتورى . . . وترى فيه الجبل تجلله الثلوج ، والبركان الثائر بالحمم ، وتكاد تحس بين أبياته رعدة الزلزال ، وفورة الموج ، ورثاء الشيخ . . »

ومما يثير الدهشة أن أكثر شعراء المانيوشو هم من براطرة اليابان وأمرائها بل من أميراتها أيضاً . ومن أولئك ، الامبراطور تنشى (٦٦٨ م) وابنته الامبراطورة جيتو والامبراطور جومبى والاميرة نوكاتا

واليك مثلا من الشعر اليابانى فى هذا العصر من نظم الامبراطورة جيتو :

Haru sugite natsu Kiniherashi
Shirotae no Koromo hosu techoo
Ama - no - kagu yama

واليك ترجمة هذه القطوعة :

الربيع الحلو قد تقضى
والصيف الصافى يوشك أن يجىء
ملتفعاً بالسحب البيضاء
وهاهي الثياب الجديدة المغسولة
منشرة فى سفح كاجو لتجف

٢ — وانتهى العصر القديم بانتقال العاصمة من نارا الى هيا نجو (Heianjo) التى غير اسمها الي كيوتو ، والتى صارت مركزاً للثقافة اليابانية ، وتركز العوامل التباينة لخلق أدب ياباني ، إن ارتكز الى أدب الصين وفلسفتها ، فان له صبغة يابانية تميزه من أدب العصر القديم . وقد كانت البوذية أكبر العوامل فى هذا التوجيه الجديد . ومن وراء البوذية فلسفة كونفوشيوس التى بهرت ألباب الادباء اليابانيين

وقد راج فى هذا العصر نوع جديد من الشعر أطلق عليه اسم كوكنشو زاد فى بهاء الشعر اليابانى ورفع من مرتبته ، ونفخ فيه حياة جديدة ، وكانت تمنح للمجيدين فيه جوائز قيمة تشبه ما كان يمنحه شعراء اليونان فى القرن الخامس قبل الميلاد . وقد جمت أشعار الكوكنشو فى عشرين مجلدا ضخما فى معظم أغراض الشعر لا سيما الحب والحض على دفع الاهانة ولو بالانتحار بطريقة البقر

وعرفت مقطوعات الكوكنشو باسم (تانكا) أو الانشودة الوطنية (الشعبية) وتتركب من إحدى وثلاثين تفعيلة تشبه تفعيلات الشعر العربي وعددها فى أبيات المقطوعة هو كما يلى : (٥ — ٧ — ٥ — ٧ — ٧)

واشتهر براطرة كثيرون وأميرات كثيرات بهذا اللون من الشعر ، بيد أن أجدرهم بالذكر فى هذه الكلمة القصيرة هو الشاعر الخالد (تسورايوكى) الذى يشبه من وجوه كثيرة شاعر الرومان العظيم هوريس ، والذى يبذ هوريس بسعة الخيال ودقة الوصف ورقة الحس وتدفق العاطفة (ترجمت أشعاره فى نشرات جمية اليابان الاسيوية) . ولهذا الشاعر نثر عجيب وكلمات فى النقد الادبي والفلسفى لا تقل عن أرقى ما وصل اليه النقد فى العصر الحديث

وقد كانت الصينية هي لغة الادب والتنقيب في العصر الهيياني ، وهي في ذلك تشبه اللاتينية في تاريخ العصور الوسطى في أوربا . وكان للمرأة مركز ممتاز في ذلك العصر ، وكان لها في رفعته أسمى نصيب ، ويكفي أن يكون أهم مؤلف نثري ، بل أول قصة في الادب الياباني كله ، هي من قلم امرأة عظيمة القدر رفيعة المنزلة في تاريخ آداب الامبراطورية ، هذه هي السيدة (مورازا كي شيكيبو) مؤلفة قصة (جنجي مونوجاتاري) التي تتناول فيها بالنقد تقاليد البيئة اليابانية ونظم الاجتماع التي درج عليها قومها ، بل هي تتعدى كل ذلك الى أعوص المسائل السياسية ونظريات الآداب القائمة في عصرها ، وتنقد الفنون بقلم بلزاك ورسكن ويلد . والمؤلفة سليلة بيت (فوجيوانها) العتيد ، الذي أنجب كثيرين من ميكادو اليابان وساستها ورجال الرأي فيها ، وقد اتضحت تربيتها في قصتها العظيمة التي برهنت بها على الذكاء الياباني الممتاز

وتتلخص القصة في أن أحد أباطرة اليابان الذي لم يكن له ولي للعهد اتخذ مرة احدى المحظيات الحسان فأنجبت له ولدا سماه جنجي ، وقد أثار هذا الحادث حسد زوجات الملك وجواريه وأذكى في قلوبهن نار الحقد ، فأطلقن الشائعات بأحاديث السوء عن أم جنجي حتى بدأ الامبراطور يتشكك في ولده ، وأصدر أمره باحتجاز الولد والام في « الحريم » الامبراطوري ... وكان ذلك التصرف صاعقة حطمت قلب الام المسكينة ، وأسلمتها لهموم واشجان أودت بحياتها .. ولكن جنجي شب وترعرع ، ولم ينجب الامبراطور غيره ، فكان لزاما أن يصبح صاحب الحق في ولاية العهد ..

وكان حريم الامبراطور يصخب بالحرد الغيد من سراريه ، فانغمس جنجي في حمأة الفسق ، وضل عن نفسه فغوى .. ولحظ الامبراطور ذلك فزوجه ، ولكنه زواج جاء بعد أوانه ، إذ النفس الصادية المدمنة لا تكفيها كأس واحدة ، وهنا تنشأ مشكلة اجتماعية من أروع مشكلات القصص الياباني ... فالزوج يبغض زوجته برغم ما هي عليه من الجمال البارع ، ثم هو لا تتصباه فتاة بعينها ، إذ كل الفتيات عنده دمى ولعب ، والنساء في اعتقاده غادرات لأنهن ائتمرن بأمه وقتلنها هاوكدا .. وشبت المعركة بين الطرفين ، واستعملن ضده نفس السلاح الذي شحذنه ضد والدته المسكينة ، فأوغرن قلب الامبراطور بمفترياتهن عليه ، وادعاءاتهن ضده ، فثار ثائر الامبراطور وأصدر أمره بنفي ولده ، وولي عهده

وبعض مؤرخي الآداب يفضلون هذه القصة ، على قصة اركاديا لسدنى بل هم يؤثرونها على قصص فيلدنج الروائى الانجليزي الكبير

وقد انجبت المؤلفة ابنة رائعة الجمال ، فشبت وأينعت ، وانتقل إلي قلبها فن أمها ، فصارت من أشهر الروائيات اليابانيات ، وقصتها صوجورومو تعتبر بعد قصة جنجي أشهر الاعمال الادبية فى العصر الهيانى

وهناك شاعرة أخرى تسمى أكازومي يمون كتبت فصولا تاريخية تشبه « عظماء بلوطرخيوس » فى أربعين جزءاً « إلى سنة ١٠٨٨ » سمتها ييجوا yeigwa الا انها لا تسمو إلى مرتبة الكتابين السابقين

***

٣ — انتهى العصر الهيانى الزاهر ، وأعقبه العصر المظلم فى تاريخ اليابان .حيث شبت حرب أهلية هائلة بين أسرتي تايرا وميناموتو الوطنيتين . فكانت السبب المباشر فى غزوة الصين لليابان ، وذلك الصروح الباذخة التى أقامها أبطال كيوتو . وتشبه هذه الحرب فى أسبابها ونتائجها حرب الوردتين فى التاريخ الانجليزى ، وحرب الجلفيين والجبليين فى تاريخ إيطاليا . فقد أدت إلى ضياع نفوذ الامبراطور ، وقيام سلطان الكهنة من البوذيين ، ونشوء لون كاسف من الادب الدينى الضعيف . أما المرأة اليابانية فقد قبعت ، ولم تساهم هذه المرة فى عالم التأليف بنصيب كبير

وأهم مؤلفات هذا العصر هى قصة جى سيزويكى التى تشرح الحرب الاهلية شرحا يكاد يشبه ما فى قصة عنترة وحرب البسوس ، وفيها ظل خفيف من الالياذة

ومما يشبه قصة الجى قصة هوجوكى لمؤلفها شوماه

والمؤلفة الوحيدة فى هذا العصر هى السيدة ابتسو صاحبة جريدة إزايو ـ نو ـ كى

وفى أواخر هذا العهد ظهرت الدرامة الانشادية المسماة « نو ـ No » وهي ديلية بوذية تحتوى كثيرا من الفوكلور اليابانى « النكات والنوادر والاغانى الشعبية » وقد حفظ لنا منها ٢٣٥ تذكر اليابانيين بهذا الزمان الاسود

٤ — استقرت الحالة قليلا بعد أن وضعت الحرب الاهلية اوزارها ، ولكن سيطرة الآداب والفلسفة الصينية كادت تكون سيطرة تامة ، وكانت آراء كونفوشيوس

تعمل كالسحر فى نفوس الناشئين ، حتى لقد خيف أول الامر على الادب المحلى الذى كان قد بدأ يحبو من المهد أن يمحى . وكاد العصر الاقطاعي الذي بدأ سنة ١٨٦٨ ينذر بشؤم أدبي يزرى بشؤم العصور الوسطى ، لولا أن وُجدت الآداب اليابانية حماية بيت عريق فى المجد ، أثيل فى النخوة ، يعرف ببيت «طوكيوجاوا» وكبيرهم «شوجن» Shogun اليابان . أى قائد جيوشها المظفر . وعلى القارىء الذى يعنى بنهضة اليابان الحديثة ألا ينسى هاتين الكلمتين . طوكيوجاوا ـ شوجن ـ وقد أطلق لقب الشوجن على هذا البيت المتيد لشهرته ، وهم حين القوا سلاح الحرب الاهلية امتشقوا سلاح الادب ، وأعلنوا حمايتهم لروح القومية الناشىء ، فشب فى أكنافهم ونهض على أكتافهم ، حتى كسفت شمس يدو Yedo «عاصمتهم» ، بريق كيوتو الخلب ، وعاصمة الامبراطور ، واصبح بيت الميكادو غير شيء مذكور بجانب بيت الشوجن العظماء . واستفادت يدو بزعامة الشوجن ، وذهب صيتها فى البلاد ، وصارت فى قليل من الزمن مركز الثقافة اليابانية بما انتشر بها من المدارس ، ومن قصد إليها من العلماء ، وما قام فيها من أسواق الادب والفلسفة ، وما توافر لها من دور الكتب التى راجت رواجا مدهشا بعد استعمال الطباعة الحديثة . وكان من مظاهر النهضة فى يدو ان خفت النحو الياباني قليلا ، ووضعت القواميس اللغوية على الطراز الجديد ، وأقبل الاهالى على تعلم الكتابة حتى تألفت منهم نواة صالحة لخلق الادب المحلى . ومع كل ذلك فقد كانت للفلسفة الكونفوشية السيطرة التامة على جميع الاذهان ، وكان الاساتذة الصينيون يتدفقون على اليابان ليقودوا نهضتها وكان أشهر هؤلاء الحكيم الصينى سيكو Seikwa الذى كان يحاضر فى كثير من المدارس عن كونفوشيوس وفلسفة مدرسة تسنج Tsung الصينية ، وعن مذهب منسوس Mencius الجديد وفلسفته ظلت لا تتعدى حدود الصين حتى سنة ١٢٨٠ حيث هاجرت مع الاداب الصينية إلى اليابان ، ولقيت ثمة حفاوة واقبالا وهى تتناول الحكومة والاجتماع والادب وطبائع الاشياء ، وماوراء الطبيعة مما يؤدى لمعرفة حقيقة الوجود Ontology Absolute وهى تزعم أن الكامل المطلق « تايكى » Great هو مصدر الخليقة ، وحركته هى التى خلقت يانج « ذكور الاحياء » ثم ين « إناث الاحياء » وان العناصر التى يتجاذبها السالب والموجب فى العالم جميعا تتركب من الماء والنار والتراب والمعدن والخشب « !! »

وإن الجزء الكامن فينا ، هو الذي يدأب في التنشئة والتطور هو الـ « كى » ki – or – ke وبحسب هذه اللفظة تحوير للفظة المصرية القديمة « كا » التي تعنى الروح ، إذ تعنى الكلمة الصينية « كى » النفس « بفتح الفاء » وهى فلسفة عقيمة تصدع الرؤوس ، ولا ندرى كيف كان لها خطر أى خطر فى العهد الاقطاعى الذى عرف بالنشاط العجيب ، وتمهيد الطريق لنهضه الحديثة

وقد كانت الفلسفة الصينية كابوسا مخيفا ينوء بكلكله على صدر الادب المحلى ، وقد تنبه بيت الشوجن إلى ذلك ، فشرعوا ينفخون روح القومية فى صدور الناشئين ، ويحضون الاساتذة الشباب على تبليد الادب والفلسفة ، وكتابة التاريخ اليابانى بأسلوب يبعث الكبرياء فى نفوس الأهلين

وكان الأثر الاورى قد بدأ يعمل عمله ، وكان التجار الهولنديون يترددون على نجازاكى ، فاتصل بهم نفر من الادباء وفيهم بعض تلاميذ سيكا فتأثروا قليلا بالفكر الغربى ، وكان منهم الاستاذ دوشان المحاضر العظيم

ولكن دوشان برغم تأثره هذا ظل يحاضر عن كونفشيوس وفلسفة تسنج وكذلك فعل خلف له يدعى أرای هاكوسكي الذى جلد بمضباء الشوجن (إيونوبو) بمحاضراته فى الاقتصاد

الادباء المحليون

وانتعش الادب المحلى بفضل دعوة الشوجن له ، وبدأت تظهر ألوان طريفة من الدرامة منها نوع يسمى باليابانية (مكيوزو مونوجاتارى) ، ويشبه عندنا الميلودرام الذى يفيض بالحب المتطرف والغيرة الحادة . وظهر فى عالم القصة نوع أفذ يسميان (يوزوك هو — سوشى) لايثيران فى النفس تلك البهجة التى تعودناها من القصة الغربية

وظهر فى علم التأليف ، فجأة الكاتب العبقرى ايبارا سيكاكو الذى انتعش الادب المحلى على يديه ، وعاد له شبابه الذى فقده منذ العصر الهيانى . وقد شغف ايبارا فى أول نشأته بقرض نوع من الشعر يسمى هكاى hakkai ، ولكنه مرعان ما هجره . الى النثر فكتب أول قصة (ريازم) فى الأدب اليابانى ، ووضع أقاصيص للاطفال ماتزال تدرس إلى اليوم فى المدارس الابتدائية وقد ترجمت جميعاً الى الانجليزية

وظهر بعد إيبارا (فى أوائل القرن الثامن عشر) كاتبان يعملان معا فى تأليف الدرامات ، وتحويل القصص القديمة إلى مسرحيات . وهذان هما جيشو ، كيسكى وقد انفصلا بعد وئام طويل ، وعمل كل بمفرده ، فزادا ثروة الأدب المحلى زيادة كبيرة

ثم كان الكاتب البوهيمي الكبير سانتوكيودن الذى يطلق عليه مؤرخو الادب لقب : شيخ المنحطين فى الادب اليابانى

وقد يعجب القارىء حين يعلم أن الانحطاط فى الادب ، والشذوذ فى التعبير عن اللذة الجنسية ، قد عرفتها اليابان قبل أن تعرفهما انجلترا على يد أوسكار ويلد وبار وأضرابهما وقد يعجب أن مدرسة المنحطين اليابانية قد لقيت فى أول أمرها اقبالا من قراء اليابان حتى تنبهت رجولة الشرق الكامنة ، فهزمت هذه المدرسة واخمدت حركتها فى إبانها .

وقد جري على أثر سانتوكيودن كاتب آخر أعنف منه أسلوبا وأشد اغراقا فى تناول الشذوذ الجنسى فى قصصه . ذلك هو الروائي الداعر جينشا إكو الذى يسميه نقاد الادب ماركى تون اليابان ـ بيد أن القارىء يجد فى حياة سانتوكيودن البوهيمية ، وفى معاشرته لزوجته التى كانت تحترف البغاء (!) ما يبرر أدبه البوهيمى وقصصه الجنسية ، ولكنه لايستطيع أن يعلل ذلك إذا درس حياة إكو . ومن أشهر رجال هذه المدرسة كاتب ثالث يدعى تامينا جاشنسوى ، يحول الحياء بيننا وبين تلخيص إحدى قصصه

أما شاكسبير اليابان فهو الكاتب والشاعر الدرامي شيجا ماتسو ، الذى كان يخلط الشعر بالنثر فى دراماته ، (ويكاد ذلك يكون الفارق الوحيد بينه وبين شاكسبير) والذي وضع أكثر من خمسين دراما جيدة كان يختار موضوعها من التاريخ مرة ، ومن صميم الحياة الاجتماعية مرة أخرى ، وماتسو وكاتب آخر يسمي (تاكيدا إيزومو) هما أقوي كتاب الدراما فى العصر الاقطاعى

ومن الحركات الجديرة بالاعتبار ، والتى نشطت نشاطا غريبا فى ذلك العصر حركة الصوفية فى اليابان . وقد نشأت هذه الحركة لبث الدعوة لتعاليم الحكيم شو — هي ، التى تتنافى تماما وتعاليم فلسفة تسنج السالفة الذكر ، والتى أخذت اسم وانج — يانج — منج ، فى آخريات هذا العهد ، ومدرسة شوهي لاتحكم غير العقل فى ادارك كنه الاشياء بعكس مدرسة تسنج التى لاتهتدى إلا بنور البصيرة فحسب

الشعر فى العصر الاقطاعى :

والنشاط الذى تناول الادب والفلسفة ، تعداهما إلى الشعر أيضاً ، غير أن الشعر فى هذا الطور كان وطنياً حماسياً متعصباً لليابانية تعصباً شديداً ، وقد وجد من أعيان اليابان لاسيما من بيت طوكيوجاوا و (الشوجن) كل تأييد وتعضيد

وقد بلغ من عناية اليابانيين بالشعر أن تألف حزب (ولا نقول جماعة) بزعامة متسوكيونى أحد أفراد بيت طوكيوجاوا لقرض نوع جديد أطلقوا عليه (تبهو — نثى)

وقد عرف جميع هؤلاء الادباء والشعراء المجددين فى تاريخ الادب اليابانى باسم (واجا كوشا) واليابان الحديثة هى بلا ريب من صنعهم ، وعلى أيديهم تمت هزيمة السيطرة الصينية على روح اليابان ، حتى اذا انتهى العصر الاقطاعى فى منتصف القرن التاسع عشر ، كانت الامبرطوارية يابانية بكل معانى الكلمة

* * *

٥ — وقد عاد للامبراطور سلطانه بعد أن استقال الشوجن سنة١٨٦٧ ، فانتقل الى ييدو عاصمة الشوجن القديمة ، وهى التى أطلق عليها طوكيو فيما بعد ، وطوكيو هى اللفظة الاولى — أو المقطع الاول من طوكيوجاوا ، وكان فى تسميتها هذه اعترافاً بما لهذا البيت العتيد من فضل فى انهاض اليابان . وقد استيقظ اليابانيون من غفلتهم القديمة التى كانت تحجزهم عن الغرب الاوربى (Occident) . وذلك بعد أن اضطرهم الغربيون الى فتح أسواقهم ، فسادهم شعور مشترك وحد بين صفوفهم ، وجذبهم الى الاخذ بأسباب الحضارة الاوربية . وشغف الشباب من الادباء بالأدب الغربى ، فأقبلوا عليه ينهلون من فيضه العميم ، حتى لقد أنشأ أحد حكمائهم الفضلاء (فوكيوزاوا) جامعة لتدريس المعارف الاوربية على حسابه الخاص

وكان أكثر ولعهم بالادب الانجليزى والادب الروسى والفلسفة الالمانية . وكان أحب الانجليز اليهم هم سميلز ومِلز وبنتام تندال وسبنسر وهوكسلى ويكن وسكت ودكنز وجيون وماكولى وكارليل

وكان أديبهم الكبير تاكاياما حلقة الاتصال بينهم وبين الفلسفة الالمانية بما كان يلقى من محاضرات ويكتب من فصول عن نيتشه الذى بهرهم لدرجة أن أهملوا طرق التعليم

الصينية القديمة وأخذوا بنظم التعليم الالمانى بنوعيه : المدنى والعسكرى . ولعل للشهرة التى كسبتها المانيا بعد حروب بسمارك نصيب فى ذلك . فالاساتذة الالمان الذين استعان بهم اليابان فى جامعاتها بعد هذه الحرب ، قد وسموا أن يغيروا العقلية الشرقية الطورانية بعقلية غربية آرية راقية

وكذلك كان للادب الروسى ، سيما تولستوى وأستاذه دستوءفسكى ، نصيب كبير من عنايتهم — وساعدهم على قراءة هذه الآداب (جامعة اللغات الاوربية) التى انشئت فى طوكيو من أجل هذا الغرض . وكذلك ساعدت القواميس « الاوروباليابانية » فى تيسير تعلم هذه اللغات

ومن أشهر المجلات التى أدت أكبر الخدمات للنهضة مجلتا تايو Taiyo وشو ـ كورون . وكان من برنامجها الاعراض التام عما وراء الطبيعة ، والتفرغ الكلى للحقائق المجردة . واستطاعا بذلك أن يصبغا النهضة بصبغتهما

وقد فشلت محاولة استبدال الحروف اليابانية بالهجاء اللاتينى لما كان يقاسيه اليابانيون من عناء التوفيق بين لغة العين « القراءة » ولغة الاذن « المحادثة » — والتقاليد وحدها هى سبب هذا الفشل . والتقاليد وحدها هى بلية الأمم الشرقية

وحال اليابانيين فى تذوق الاعمال الفنية مثل حالنا فى مصر تماما ، فهم سرعان ما ينسون الدرامة الفنية أو القصة المحبوكة ، وسرعان ما ينصرفون عنها بعد سنة واحدة من عرضها أو اصدارها ، وذلك لأنهم تواقون مثلنا الى التبديل ، يريدون جديداً كل يوم جديد ، وتلك حالة يذهب ضحيتها الكتاب الذين يتخلفون عن القافلة ، ولا يسايرون هذا المزاج العجيب . وفى اليابان كتاب محترفون يرتزقون بالادب ، وهم فى سعة من العيش ، وهم منتجون مخصبون ، وينقسمون الى مدارس ثلاث تسير جميعاً على هذه الآراء الغربية ، ولكن فى الدائرة التى تنفع اليابان . وهذه المدارس هى فئة الكلاسيكيين Classicists وهم أقل الفئات ، وطبقة الريالست Realists والناتشوراليست Naturalists .

وقد كان لهذه المدارس الفضل فى حض الشعب على المطالبة بحكومة دستورية هى اليوم من أرقى الحكومات

وأشهر كتاب الريالست فى القرن التاسع عشر هو الاديب الاشهر « تسوبوشى يوزو »

الذى بدأ حياته ناقداً للآداب ثم استطاع أن يشق طريقه الى المجد فألف جماعة صغيرة من الكتاب الريالست كانوا نواة مدرسته . وروايتاه « حياة أديب » و « الزوجة » صادفا نجاحاً لم تصادفه إلا روايات قلائل لاشهر الكتاب الغربيين . وقد فرغ للدرامة ، شأن سائر الادباء ، فكتب عدة منها كانت تلقى كل إقبال . ونقل الى اليابانية بعض درامات شاكسبير ، وقلده فى ذلك تلميذه « شيمي فوتاباني » الذى بذ أستاذه بروايته الخالدة « السحاب . . » . وقد كان فوتاباني مراسلا لبضعة جرائد يابانية حينما كان يقيم فى روسيا ، وقد ساعده ذلك على الالمام بفن تورجنيف الروائى الروسى الكبير ، فنقل الى اليابانية بضعة من قصصه

وقد انشطرت هذه المدرسة الى شطرين ، أحدهما ينشد الفن لاجل الفن ، والآخر ينشد الفن للحياة ، ويتوسل لذلك بكثير من الابديازم . وقد أنشئت النوادى الادبية لنصرة كل من المذهبين ، فكان نادي « جنيوشو » ورجالاته ينصرون مذهب الفن للفن ، وكان تلاميذ « هاسيجاوا » يتعصبون المذهب الآخر

أما المدرسة الكلاسيكية فقد كان زعيمها « أوجاى مورى » الذي كان يجيد الفرنسية والالمانية والايطالية إجادة تامة ونقل كثيراً من قصصها الى اليابانية — وقد كانت مؤلفات دزرائيلى واسكندر دوماس معواناً لهذه المدرسة ونبراساً تهتدى به ، وكانت قصص دستوفسكى وهوجو تعمل كالسحر فى ألبابها

أما الناتشورالست، فقد نشأوا فى صميم الريف اليابانى ، واتصلوا من هناك بالجرائد والمجلات التى كانت تفسح لهم صفحاتها لما كانت تمتاز به أقلامهم من الحرارة والتأجج . وهم لا يدجلون فى كتاباتهم ولا يواربون . بل الحقيقة المجردة هى مبتغاهم الاسمى، والقطعة من الحياة ، مهما كان لونها ، هي سبيلهم الى أذهان الجماهير . فهم يصورونها على حقيقتها مهما كلفهم ذلك من سحق التقاليد . وتحطيم ما درج الناس عليه من عادات . لذلك نجد منهم من يعتبرون بحق مثل أساتذة الثائرين فى الادب الانجليزى الحديث ، أمثال لورانس وجويس ومن اليهما . ومنهم من يكتب فى الحب الشهوانى بأسلوب فائر مثير ، ومع ذلك فهو يلق من مواطنيه كل تقدير . وقد ألفت بينهم فى أول الامر مجلة « بنجا كوكاى » ثم استطاعوا بعد ذلك أن يتزعموا الادب اليابانى ويقودوه الى حيث يريدون

وقد تأثر هؤلاء بروايات زولا ودازيو ودرامات إبسن وهوبتمان واضرابهم ، ولذا ترى في فنهم لمحة منهم جميعا . بل منهم من تأثر بالكاتب الانجليزى ه . ج . ولز سيما الروائى تويابا كاتاى الذى قلد قصة ولز « وليم كلسلد » بقصة مثلها سماها (Futon) أي « اللحاف ! »

وقد نبغ منهم روائيون سيكلوجيون ، وعلى رأسهم الكاتب الكبير « سوزيكى ناسومى » « توفى سنة ١٩١٦ » . فقد أتم دروسه فى انجلترا ، وتأثر هنالك بمرديث الشهير ، فلما عاد الى وطنه تولى تدريس الادب الانجليزى بالجامعة الامبراطورية فى طوكيو ، وأخرج قصصا رائعة فيها اثارة من أسلوب مرديث . وقصته « أناقطه ! » هى من القصص العالمية اليوم

ومن أشهر كتاب القصة اليوم فى اليابان « طن ساتومى » الروائى السيكولوجي الذائع الصيت . وقصته « نسيم البحر : تشوفو » مترجمة الى أكثر اللغات الحية الا العربية مع الاسف العظيم !

ومنهم روائى مسيحى اسمه « كاجاوا » تفيض قصصه محبة للانسانية وعطفا على البشر وقصته « بين الاموات . . » بيع منها مئات الالوف .. وهى مترجمة الى الانجليزية

وقد زعزعت الحرب الكبرى ثقة اليابانيين بمدنية أوربا ، ولذا فهم اليوم يحافظون على التقشف الشرقى ، ويعتبرون الترف الذى قضى على الرومان ، هو نفسه الذى نكب أوربا فى هذا الزمان . وقد ظهرت آثار ذلك كله فى القصة اليابانية الحديثة ، وتجلت النتائج فى العظمة الصناعية التى تقوم على أحط الاجور

ومما يعيبه النقاد على القصص اليابانى الحديث شقشقة الحوار الطويل الذى يفيض به ، من غير مادداع اليه (. . . فبطل القصة يلق حبيبته ويقول لها . . وتقول له . . وتقول له . . ويقول لها . . ويتغديان معا . . ويعودان أدراجهما الى المنزل . . .)

والصحف والمجلات اليابانية تعتمد كل الاعتماد على القصة ، تسود بها صفحاتها ، وللصحافة فى اليابان الشأن الذى لا يسمو عليه شأن ، ومن الصحف ما تملك الاساطيل من الطيارات تتولى توزيع الاعداد فى سائر انحاء البلاد

عناية اليابان بالشعر فى العصر الحديث

قل أن تجد أمة من الامم تسيغ الشعر وتقبل عليه مثل اليابان ، فبرغم انتشار القصة والدرامة على المبادىء الاوربية . وبرغم إغرام اليابانيين بهما ، إلا أنهم لا يعدلون بالشعر لونا آخر من ألوان الادب : حتى الميكادو نفسه الذى يكاد يتزعم الحركة الشعرية

فى اليابان . فى البيت الامبراطورى قلم خاص لشعر هو من أهم أقلام السراى . وينحصر عمله فى تنظيم الدعاية للشعر ، وعقد مسابقات تشرف عليها لجان تحكيم ، تمنح المجيدين جوائز سنية ، وقد بلغت القصائد التى دخلت هذه المسابقة فى إحدى السنين بعد الحرب الكبرى خمسا وعشرين الف قصيدة ! ! وقد سمع الميكادو قصائد المجيدين جميعا مع أنها بلغت الالفين عدا ؟ ! وأهم ماينظم لاجله الشعر هو وصف الطبيعة اليابانية ذات المباهج والمفاتن . ومن أروع مناظرها التى تلهم الشعراء جنبات جبل فوجى المنضورة فأفواف الزهر . وقمته المجللة بالثلوج ، وشجر الصنوبر (الذى يسرح مفرقيه ، ويصفف طرتيه ، فى مرآة البحيرة النائمة فى ظله .) ، ثم الشفق الذى يصبغ المحيط الهادى بأرجوانه ، والقمر الذى يفضض الأنهار وتيجان الموج . . .

ويكاد يكون قرض الشعر صناعة لفظية موسيقية ذات محسنات كثيرة لاتعرفها سائر اللغات ويعنى الشعراء اليابانيون بالدقائق (الميكروسكوبيه) حين يصفون أيا من الاشياء

« يريك الدنيا فى ذرة

والسماء فى زهرة برية

وتبسط راحتنا على اللانهاية

وتجمع الاباد فى هنيهة ! ! »

وما يزالون يقبلون على ال(تانكا) ينظمونها ، وقد حاول الثائرون نظم القصيدة الطويلة (ناجا ـ أوتا) فلم يفلحوا . وشيخ شعراء اليابان فى العصر الحديث هو (يون نوجوشى) الذي هو فى بلاده بمنزلة طاغور فى الهند ، وقد نظم كثيرا من قصائده بالانجليزية كما فعل طاغور ، ولكن الذوق الأنجليزى لم يبغ الشاعرين . وقد تزعم نوجوشى شعراء اليابان بعد الميكادو الشاعر ميبجى Meiji الذى مات سنة ١٩١٢ . ومن اشهرهم الشاعر ماسقيورا هاجيم الذى يعتبر أيضا من زعماء كتاب ال belles lettres

ولشاعرات اليابان منزلة تسمو فى كثير من الاحيان على منزلة الشعراء ، ولهن فى مهرجان الشعر السنوى الذى ينعقد فى سراى الميكادو مكانة ملحوظة . والشاعرة (زهرة اللوتس) كما تشاء أن تلقب نفسها تعد من الشاعرات العالميات الآن ، والشاعرة يوسانو ـ أكيكو هى مرآة يابانية ناصعة تنعكس فيها مفاتن اليابان . والشاعرة كاتاياما ـ هيروكو تقود الآن حزبا من الشاعرات تحاول بهن خلق ضرب جديد من الشعر . واذا استثنينا

مقطوعات التانكا والهكاي ، وجدنا الشعب (الدهماء) يغرمون بنوع من الاغاني تسمى دودوايتسو Dodoitsu و(طماطيق!) تسمى هوتا وهما نوعان شائعان بكثرة هائلة في اليابان

المدرامة

رأينا انتشار درامة (نو) في العصر الاقطاعي ، وكيف كان الشوجن يشجعون على وضعها ، ويكافئون المبرزين من أبطالها ـ وقد وجدت درامة جديدة في هذا العصر تدعى (جاجاكو) وهي موسيقية سامية من النوع الكلاسيكي ، لكنها ظلت وقفا على الدوائر الملكية ، ولم يسمح للشعب بالتفرج عليها أو الاستمتاع بها ـ أما الطبقات الوسطى والعامة ، فقد وضعت لهم درامة تدعى (أياستورى) ومن أركانها الاساسية فرقة الموسيقى المسماة (جوروري) وهي تشبه فرق المنشدين في الدرامة الاغريقية ، وقد ظلت الكابوكي (الدامة القديمة) تأسر ألباب الشعب بعنف موضوعاتها والتهاب الحماسة فيها

ويعتمد الممثل الياباني الى حد بعيد على تكنيك المسرح « الاضاءة والمناظر والصوت ... الخ » أكثر مما يعتمد على مواهبه سيما في الدرامة التاريخية (جيدايمونو) التي يعتبر الممثل (دنجورو يشيكاوا) أكفأ رجالها في العصر الحديث . ويعد دنجورو بالدرامات التاريخية الكاتب العبقري فوكوشي . أما زعيم ممثل الكابوكي (فهو كيكوجورو) الذي له منزلة رفيعة في قلوب اليابانيين . وللدرامة الاجتماعية (سيوامونو) صبغة خاصة ، إذ هي خليط من الكوميدي والتراجيدي وفيها لمحات من فن برنارد شو

وقد تأثر المسرح بالسينما تأثرا كبيرا ، وصارت صناعة الافلام حرفة رائجة تتولاها شركات قوية تكاد تضارع الشركات الامريكية وتتفوق على الشركات الانجليزية والالمانية . والغريب أن هذه الشركات تمثل الروايات الأجنبية (أواجونو) وتصدرها الى الخارج (والذي يتولى ترجمة معظمها هو الكاتب الكبير الدكتور تسوبوشي) . وهي أيضا تصدر أفلام الروايات المحلية وقد استطاع الممثل الكبير كاواكامي وزوجته الممثلة الفنانة (سادا ـ ياكو) أن يقتبسا كثيرا من الفن المسرحي الاوروبي بعد رحلتهما في الغرب . وهما يعملان في مسرح طوكيو العظيم (كابوكي ـ زا) الذي يسيطر على توجيه النهضة المسرحية في جميع اليابان

دريني خشبة

قصة روسية

هل كان مجنونا

بقلم اندريف

في اليوم الحادي عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٠٠ ارتكب الدكتور انتوني كرجنتزف أحد الأطباء جريمة القتل، وبدا من الظروف التي وقعت فيها الجريمة والحوادث التي سبقتها، مايشير الى اضطراب في ذهنية القاتل. فسيق القاتل الى مستشفى الامراض النفسية للفحص عنه، وهناك عرض على أمهر الاطباء والاخصائيين ولكن ماكاد الشهر يتولى بعد دخوله المستشفى حتى قدم الدكتور كرجنتزف الى أطبائه مذكرة له بسط فيها ماوقع من أمره، وها نحن ننشر للناس بعض شذرات من الرسالة وقد وجه الخطاب فيها الى أطباء المستشفى

-١-

حتى هذه الساعة وأنا أكتم عنكم يا سادتي الحق وأخفيه ولكني أشعر الآن بقوة تدفعني الى اظهاره، وستفهمون من معرفته أن حادثتي ليست من السهولة كما يبدو للنظر السطحي المتسرع البسيط، ليست حادثتي من تلك الجرائم العادية التي تقود الى السلاسل والأغلال، وتسوق الجاني الى الاشتمال في أكسية المجرم، وسترة القاتل، بل أن في جريمتي عنصراً رهيباً، بل أرهب مما تظنون، عنصراً غريباً موحشاً ستنتفعون منه وتستفيدون

ان الرجل الذى قتلته أليكسز سافلوف، كان رفيقي في المدرسة ثم قريني في الجامعة وإن كانت وجهة درسي غير وجهته، وأنتم تعلمون أنني طبيب وكان هو محامياً، ومحال أن يقال عني أنني كنت ابغضه، كنت أبداً أجده رقيق القلب، وثاب الشعور فوار الاحساس، ولم أصادق دهري أحداً أحر من صداقتي له، ولكن لم يكن أليكسز، على الرغم من رقته ووجدانيته ذا شخصية كبيرة تلهمني الاحترام له، وتوحي الى عاطفة التبجيل. وان حلاوة طبيعته وتواضعه المدهش الغريب، وان تقلبه في آرائه وعواطفه

ومشاعره ، وان تطرفه الشديد فى أفكاره المتحولة المتغيرة ، كل هذه كانت تضطرنى الى أن اعتبره طفلا ، بل أعده امرأة ، وكان أصحابه وأهل وده أبداً هدفا لثورة هذا الاحساس وبركان هذا المزاج ، ولكن ما أبعد الطبائع البشرية عن المنطق ؟ اذ كانوا فى الوقت نفسه يحبونه أعظم الحب ، وكانوا يجتهدون أن يجدوا شفيعاً لمنانة وهفواته ، واقتفيت فى ذلك أثرهم فشاركتهم فى الرأى ، وجعلت أغضى لالكسيز عن هفواته الصغيرة ، نعم أقول الصغيرة وأصر على القول ، لأن الكسيز كان عاجزاً عن أى شىء كبير ، حتى فى الهفوات ، واذا أردتم أيها السادة دليلا على ما أقول فليس على الا أن أعد عليكم أثاره الادبية . كلها سخيف حقير . وأن اتى بعض النقدة الحمقى خيرا عليها . نعم هى لاشيئيات جميلة . كما أن مؤلفها لا شيئية حسناء .

كان الكسيز يوم مقتله فى الواحدة والثلاثين . كان أصغر منى بربيع ونصف ، وكان الكسيز متزوجاً ، وإذا كنتم أيها السادة قد رأيتم زوجته وهى محزونة أرمل ، فما أنتم بقادرين على ان تعلموا كيف كانت قبل المقتل ؟ انها فقدت كثيراً ، هذه وجنتها قد ذبلت ، وهذا خدها الأسيل قد [illegible] ، هذه بشرتها الناعمة قد طرقها التخدد والغضون . كانت تحب زوجها أعمق الحب انا هذه عينها لا تفارق ولا تلمع كما كانت بالأمس ، ولم تعد تضحك وكانت أبدا مومضة ضاحكة ، وقد رأيتها عرضا فى فناء دار الشرطة فكدت أصعق للتغيير الذي طرأ عليها ، انها لم تستطع أن ترمقنى بلحظة ساخطة متوحشة مفترسة ، واها للمسكينة !

كان هناك ثلاثة فقط ، الكسيز وتاتيانا وانا ، هم الذين يعلمون وحدهم انى منذ خمسة اعوام قبل زواج اليكسيز بعامين كنت سألت تاتيانا يدها فرفضت الطلب وأعرضت . ولكن من الحماقة أن أقول لم يكن هناك الا ثلاثة فقط ، لاريب أن لتاتيانا حلقة من الاصحاب والاحباب ، والصواحب والحبائب . وكلهم قد علم — ولا شك — بأن الدكتور كرجنتيزف طلب يوماً اليها الزواج . فكان نصيبه مرارة الرفض

أنني لاتساءل أتراها تتذكر انها ضحكت فى ذلك اليوم ، نعم انها كم ضحكت فى الدهر مراراً وكم ابتسمت ، ولكن ذكروها أيها السادة بأنها « فى الخامس من شهر سبتمبر ضحكت » فاذا انكرت وهى لاشك منكرة ، فذكروها انها حقا ضحكت وانا الرجل

القوى العنيد، الذي لم يسكب عبرة واحدة، ولا ذرف يوما دمعة منحدرة، ولم يعرف الرعب ولا الخوف، وقفت يوم ذاك امامها مرتجفاً مرتعدا، وأبتني مرتجفاً ورأيتها تعض شفتها، فضحت لها ذراعي لأضمها، فرفعت عينيها، ورأيت تينك العينين تضحكان هنا تراخت ذراعاي، وراحت هي تضحك، وضحكت كثيراً، كاشاعت ولكنها عادت بعد ضحكاتها فاعتذرت

قالت: وعيناها لاتزالان تضحكان « أتوسل اليك أن تصفح » فابتسمت أنا كذلك ولو استطعت الان اصفح عن ضحكاتها، فما انا بمستطيع ان اصفح لنفسي عن تلك الابتسامة!

حدث ذلك فى الخامس من سبتمبر الساعة السادسة من المساء على حساب سان بطرسبرج، أقول على حساب سان بطرسبرج لأنا كنا فى تلك الساعة على افريز المحطة وها أنا لا أزال الآن أنظر الى ساعة المحطة وأتبين موقع عقربيها، أحدهما فى رأس الساعة والآخر فى أسفلها، وفوق ذلك فان الكسيز قتل فى الساعة السادسة تماما، وهذا لعمرى اتفاق غريب، اتفاق ذو معنى كبير عند الرجل اليقظ البصير

قلتم ياسادتي ان أحد الأسباب التي ساقتني الى هذا المقتل هو أنكم لم تجدوا أي باعث على ارتكاب الجريمة، فهل تجدون اليوم باعثا؟ قد تقولون الغيرة، ولكنكم على ضلالكم القديم، ان الغيرة من شأن الطبيعة الحادة، والمزاج المستعر النارى، وليست من شأن رجل هادىء المزاج رصين العقل بارد الروح كشأني، اذن فهل يكون الانتقام؟ نعم هذا أقرب الى الحق وان كانت الكلمة قديمة لاحساس جديد وشعور غريب مجهول

هنا لابد من أن أقول ان تاتيانا خيبت ظني مرة أخرى، كنت أعتقد أنها بزواجها من الكسيز - وأنا به خبير - لن تجد الهناء يوما واحدا، وأنها ستندم على رفضها مطلبي ولهذا السبب اجتهدت في تعجيل زواجها وكان الكسيز قد راح بها حبا

قال لى قبل فاجعة مقتله بشهر « انى مدين لك بهذه السعادة »

ثم التفت الى زوجته يسألها « أو ليس كذلك يا زوجتي؟ »

فنظرت الي ثم تمتمت « نعم » وضحكت عيناها فضحكت، وضحكنا جميعا والكسيز يضمها الى صدره، وكانا لا يستحييان من شيء أمامي

قال الكسيز « نعم، انك ياصديقي قد خسرت الصيد »

هذه النكتة الباردة المؤلمة الثقيلة هي التي قصرت من حياته أسبوعا كاملا لأنني كنت قد اجمعت أول الامر أن لا أقتله حتى اليوم الثامن عشر من ديسمبر. أجل، كانت الحياة قد طابت للزوجين، ولا سيما تاتيانا فقد كانت سعيدة السعادة كلها وأما الكبيز فلم يكن حبه لها في أعشار قلبه، لأنه يعجز عن أي حب عميق، وكان الأدب ملهاته يؤثره على مناعم البيت ومباهج الزواج، ولكن هي! هي لم تكن تحب الا هو، وكانت لا تحيا الا له هو، وكان أبدا متوعك الصحة، ينتابه الصداع، وينهكه الارق وكانت تاتيانا ترى في تمريضه والعناية برغباته أعظم السعادة، وأكبر النعمة والمرأة يوم تحب تفقد كل شخصيتها

كذلك كنت أرى كل يوم وجهها المبتسم ومحياها الباهر المشرق الناعم فكنت أقول لنفسي وأتساءل «أنا سبب كل هذا، أردت أن أرسنها في غل زوج مغفل لكي ترى بنفسها مبلغ خسارتها يوم رفضتني فاذا بي أراني قد جئت اليها بالرجل الذي أحبت!»

وأنتم ياسادة ترون غرابة موقفي، كانت أحسب ذهنا من زوجها

كانت تحب حديثي وتطارحنيه، فاذا انتهينا من الحديث تركتني في رفق مبتهجة الى ذراعي زوجها!

ولا أستطيع أن أتذكر متى كان أول تفكيري في قتل الكبيز، وكل ما أعلم أنني ألفت هذه الفكرة حتى لكانها ولدت معي. وأعرف أنني كنت أريد أن أنزل بتاتيانا العذاب والالم، أعرف انني فكرت في وسائل أخرى لانجاز غرضي، وسائل أقل خطرا على الكبيز وويلا، لانني كنت دهري عدوا للقسوة كارها لها، وكنت أعرف ماهو القتل، واعلم أنه جريمة يشتد القانون في العقاب عليها، ولكن اليست كل أعمالنا جرائم مختلفة الضروب والانواع؟

كنت لاأشعر بخوف من نفسي، وهذا كل شيء عند المجرم، أن أخوف ما يخافه القاتل والمجرم ليست الشرطة ولا القاضي ولا العقاب، وانما نفسه التي يخاف. هي اعصابه وارادته وضميره، وجعلت أفكر في هذا الموضوع وأروىء فيه البصر وجعلت أدرسه وأعيه وأمحصه، ولا أقول انني وثقت الوثوق المطلق من هدوء أعصابي وثبات ارادتي فان وثوقا كهذا لايصدر الا من رجل مفكر عاقل يمتد بكل الاحتمالات والممكنات، ولكني

بعد أن وزنت ارادتي وصلابة أعصابي واحتقاري التام للقيمة الادبية ، شعرت انني أستطيع أن أعتمد كثيراً على نجاح خطتي

والآن وقد تحققت خطتي عما كم تسألون أيخزني الآن ضميري ؟ وهل أشعر بندم أو أسف ؟ وأجيبكم ، كلا ولا ذرة من ندم ، أشعر بألم ، نعم ، بألم شديد هائل ، ما أظن أحداً غيري في العالم عاناه ، إن شعر رأسي الاسود يستحيل الآن الى البياض ، ولكن هذا شيء آخر . نعم شيء آخر . شيء مخيف مفزع خارق غريب . لا يمكن أن يصدق مع بساطته الفظيعة الهائلة

— ٢ —

وكذلك أجمعت على أن أقتل الكبز ، ولكني أردت أن تعلم تاتيانا أنني أنا الذي قتلت زوجها ، ولكني مع ذلك كنت أريد أن أتجنب عقوبة القانون ، وان كان عقابي لن يغني تاتيانا عن تكبتها شيئاً ، لانني كنت كأكثر الناس أكره السجن وأحب الحياة ، أحب أن أرى الخمر مشرقة في الكأس ، وأن أمد ذراعي وساقي على فراش ممهد وثير ، وأحب أن أملأ صدري بنسمات الربيع ، وأشهد الشموس الزاهية في مطالعها ومغاربها ، وأقرأ الكتب ، وأنعم بالمطالعة ، أحب نفسي ، قوة عضلاتي ، وصفاء ذهني ورجاحة لبي ، ولم أفهم يوماً ما يريد الناس بقولهم « متاعب الحياة »

ومع ذلك كان من الهين على أن أنجو بنفسي من العقاب إذ هناك ألف وسيلة يستطيع بها الانسان أن يقتل في خفية انساناً آخر ، ولا سيما إذا كان مثلي طبيباً ، ومن بين الخطط التي فكرت فيها ثم أعرضت عنها ، خطة واحدة تدبرتها طويلا وتفحصتها ، ذلك أني فكرت في أن أدبر له مرضاً عضالا قاتلا ، ولكن ، ولكن الصعوبات التي تعتور هذه الخطة مما يتبين لكم أيها السادة ، على حين أن ألم الضحية المستطيل المستمر سيكون خشناً فظاً قاسياً ، وفوق ذلك فان تاتيانا ستتنعم بشيء من السعادة حتى في مرض زوجها وأصعب ما في خطتي أنني كنت أريد أن تعلم أية يد أوقعت برجلها ، وما كان مثلي لتخيفه العوائق ، إذ العوائق لا تخيف إلا الجبناء

وسنحت لي الفرصة ، والفرصة حليفة العقلاء ، وهنا أسترعي أبصاركم أيها السادة الى نقطة هامة ، أقول لكم أنها الفرصة وحدها لا ارادتي التي خدمتني . هي وحدها التي

كانت أساساً لجريمة ، وهى التى خلقت الحوادث التى جرت بعد ذلك

أقول لكم يا سادتى أنى قرأت فى احدي الصحف ، ولعل نسخة الصحيفة لا تزال فى بيتى ، إذا لم تكن قد وقعت فى أيدى القضاء ، أن رجلا أدعى أنه أصيب بنوبة عصبية جنونية ، فقد فى خلالها المال الذي أؤتمن عليه ، وكان فى الحقيقة قد اختلسه ، على أن الرجل كان هيابة جباناً ، فاعترف بذنبه ، وبلغ من جبنه أن دل القضاء على المخبأ الذى وضع فيه ما سرق ، ولكن الفكرة نفسها لم تكن سيئة ولا صعبة الانجاز .

نعم ، إن التظاهر بالجنون ، وقتل الكبير فى نوبة جنونية ثم الرجوع الى الرشد ، هذه هى الخطة التى وثبت الى رأسى ، عندما كنت أقرأ قصة ذلك الرجل .

وكنت كلداني الاطباء أعرف شيئاً من علم النفس وجعلت أصرف أكثر وقتى فى قراءة أسفار هذا العلم والمؤلفات الموضوعة فى دقائقه . حتي تبينت أن الخطة لابد موفقة ناجحة

وأول شيء يجب أن يدرس أذهان علماء السيكولوجيا هو تأثير الوراثة . ولشد ما كان ابتهاجي اذ وجدت التأثير الوراثى موافقا المرض . كان أبي مدمنا على الشراب ملحاً على الكحول . وقضى أحد عمومتى في مستشفى المجانين ، وتوفيت أختي الوحيدة وكانت عرضة للتشنج العصبى

وبدا لى أن من الهين علي أن العب دور المجانين ، فعمدت الى قراءة ما يدور حول طبائع المجانين فى الكتب ، وأضفت من عندى بعض الاختراعات الجنونية ، كما يكون من الممثل الحاذق الاريب

وخطرلى وأنا أقوم بمبادى خطتى خاطر غريب . لاأظنه يقع يوما لمجنون ، ذلك انى فكرت فى الخطر المفزع المخيف الذى تجره تجاريبى الجنونية المرورة

وأنتم ياسادتى تفهمون ماأريد ، ان الجنون ليس الا نارا محرقة تلهب من يلعب بها بل لو كنتم فى كهف مظلم مملوء بالبارود ، فارسلتم النار فى جوانبه ، لكان آمن عليكم وأقل خطراً من أن ينساب الى عقل أحدكم أقل خوف من الجنون

كنت أعرف ذلك ، وكنت أحسه ، ولكن أي خطر يستطيع أن يرد الرجل الشهم الجرىء

— ٣ —

ولعلكم الآن تفهمون مبلغ تلك النوبة الجنونية المخيفة التي اعترتني في وليمة آل كارجوانوف

كانت هذه هذه النوبة أول تجاريبي ، وقد نجحت أكثر مما كنت أتوقع ، أقول لكم ياسادة ان المدعوين جميعا رأوا عوارض تلك النوبة قبل أن تبتدىء ، وبدا لهم انها حادثة عادية قد تقع يوما للأصحاء الأقوياء ، فلم يظهر على أحد منهم أدنى امارات الدهشة أو الاستغراب

ألم يشوكم أنني كنت ساعتذاك شاحب اللون ، مخيفا مرعبا ، وأن جبيني كان غارقاً في لجة من العرق البارد ، ألم ينته اليكم أن شعلة الجنون كانت تطل من عيني ولما أتباوني بعد ذلك بكل ماراوا مني في المأدبة اتخذت هيئة مجزنة مظلمة متعبة ، ولكنني كنت في أعماق ضميري مزهوا بنجاحي فرحاً مغتبطا

ولم تكن تاتيانا ولازوجها حاضري المأدبة ، ولا أعرف ياسادتي اذا كنتم لاحظتم هذه النقطة ، نعم ، لم يكن تغيبها عن الوليمة فرصة من الفرص ، ولكني اخترت ان أقوم بالنوبة في غيابهما ، كنت أشفق من ازعاج تاتيانا ، بل مما هو شر من ذلك ، من أثارة شكوكها ، وذلك اذا كان في العالم انسان واحد يستطيع أن يكتشف أمري ، فذلك الانسان لا يكون ولا ريب الا هي وحدها

واخترت ساعة العشاء لنوبتي ، اذ يكون المدعوون متئدين جلوساً في المقاعد . واذ تكون الخمر قد اهاجت اعصابهم . ولعبت الشمول بالرؤوس . وأخذت مجلسي عند طرف المائدة بعيداً عن الشموع الوقدة . لانني لم أكن أريد أن أثير حريقا في الدار أو ألهب أنفي وأطرافي

وسأت أحد المدعوين وهو بافل بتروفتش أن يكون جنبي . لاني كنت منذ زمن بعيد أميل الى مناعبة هذا المخلوق المرذول المبطان البدين . وهو اذا أكل اشتد ثقل روح وازداد برودة دم . ولقد حسبت يوم رأيت هذا الثقيل يأكل ان الآكل لابد من أن يكون رذيلة الرذائل . ومشت خطتي في هينة ورفق ، وكان كل شيء في صالحي ، حتى لم يستطع أحد منهم أن يلحظ أن الصحفة التي حطمتها بقبضة يدي كانت

منطاة بالمنشفة ، لكى أتجنب تجريح يدى

وكانت الرواية المضحكة التى قمت بتمثيلها حمقاء طائشة ، ولكن ذلك ما كنت ابتغى وأريد ، ذلك لانى لو عمدت الى حركة أهدأ وأعقل وأتقن لراحت عند القوم غامضة مبهمة . وبدأت ألوح بذراعى فى الهواء وأصيح فى وجه بتروفتش أرعن مغيظاً ، وجعل هو فى دهشة وذهول يحملق الى بيصره ، ويدير عينيه فى مبهوتا ، وإذ ذاك عدت الى هدوء هامد مظلم حزين

قالت ايرين بافيلوفونا فى ابتسامة صغيرة ، ماذا بك يا أنتونى ، وعلام هذا الانقباض ؟

حتى اذا شخصت الابصار جميعا الى ، تضاحكت ضحكة محزنة مريضة قالوا أجمعين « ما بالك ، ألست فى صحتك ؟ »

قلت « أحس بدوار ، أن رأسى يضطرب ، ولكن أرجوكم يا سادة أن لا تنزعجوا فانها عما قليل تمر »

وعادت ربة الدار الى طمأنينتها ، ولكن بتروفتش جعل يلحظنى بعين متهمة غير مصدقة ، وما كادت تمضى اللحظة الأخرى حتى رأيته يرفع كأسه الى شفتيه فوثبت اليه فحطمت الكأس قريباً من أنفه ، وألقيت بقوة وعنف قبضتى على الصحفة التى أمامى فطارت شظاياها فى كل مكان ، أما بتروفتش فجعل يسخط ويلعن ويشتم وهو يدور حولى ، وولولت السيدات ، وارتفع الصريخ ، وضج الصياح ، وحرقت بأسنانى ثم جررت غطاء المائدة وما فوقها . صدقونى يا سادة ، لقد كانت رواية طائشة مضحكة

أجل لقد كانت دعابة جميلة ، واذا بهم جميعاً قد التفوا حولى وتزاحموا ، فأمسكوا بذراعى ، ومنهم من جاءنى بالماء يمسح به وجهى ، ثم أجلسونى فى مقعد كبير وأنا أزأر زئير النمر قد احتبس وأنا أدور بعينى فى الجميع بنظرات مفترسه متوحشة ، وكان كل شىء مضحكا ، وكان الجمع الملتف حولى أحمق مغفلا ، حتى هممت بأن أنتهز فرصتى ، فأنهال عليهم بالضرب وألطمهم فوق أنوفهم ولكننى تجلدت فأمسكت عن ذلك وسكت

وبدأت أثوب الى رشدى ، ومضيت ارسل أنفاساً عميقة صاعدة متراجعة وأختلق عوارض أغماء متعددة ، وأصر بأسنانى وأعض على شفتى وأقف أخيراً وأنا أسأل أسئلة

كهذه « أين أنا ؟ وماذا حدث ؟ » ووقع هذا السؤال البارد موقعه المعتاد ، فتكلف ثلاثة من اولئك الحمقى الرد عليه ، فقالوا « انك عند آل كارجوانوف » ثم فى صوت رقيق مداعب « اتعرف يادكتور من هى ايرين كارجوانوف؟ »

حقا انهم لا يصلحون لحضور روايتى المضحكة الحسناء ....

ووقعت النوبة الثانية بعد شهر من الاولى ، وكانت هذه اقل حذقا واتقاناً من تلك ولم اكن اريد ان احدث ضجة أخرى كالضجة التى احدثت ، ولكننى لما رأيت الظروف موافقة صالحة وجدت من الحماقة ان لا انتفع بها

وانا لا أزال ياسادة اذكر كل ما حدث ، كنت مرة اخرى فى حفل عند صديق لي وكنا جلوساً فى حجرة الاستقبال ، آخذين فى حديث طويل ، واذا بى قد شعرت باحساس عميق حزين ، ورأيت بكل وضوح وبيان موقفى ، وجدتني غريباً بين القوم غير معروف ، ورأيتني وحيداً فى هذا العالم ، سجيناً آخر الدهر فى محبس التظاهر بالجنون ، وتولاني بعد ذلك احساس آخر ، هو احتقار كل من حولي والكراهية لهم ، وهنا تميزت يا سادة من الغيظ وعلا حنقى وتوحشى وشرعت اضرب بقبضتي الفضاء ، واصيح صيحات نكراء ، واشتم شتائم شنيعة واقول كلمات عور مذمومة وما كان ابهجنى اذ رأيت وجوه الجميع تصفر من خوف ورعب !

وانطلقت اصيح فى القوم « ايها الاوغاد ، ايها السفلة الانذال ، ايتها المخلوقات القذرة المنتنة ، ايتها الارواح الحقيرة الملطخة ، انى العنكم انى ابغضكم » وجعلت فى توحشى هذا اتلاكم اول الامر مع خدم الدار والتضارب ، ثم هرعت إلي سائقى مركبات الحضور فانطلقت فيهم ضرباً وصراعاً ولكماً ورفساً ، والآن اعترف امامكم فى سذاجة وبساطة انى كنت اشعر بالسرور والابتهاج من ضربهم وشتمهم فى وجوههم . واذن هل من يعترف بالحق يكون مجنوناً ، انى اؤكد لكم ايها السادة انى كنت اعى كل شىء كنت احس تحت يدى بأجسام حية تتألم من لكمانى وضربي

وفى تلك الليلة بعينها ، اذ ضمتنى جدران مخدعى ، رحت أضحك من نفسى وأقول يالى من ممثل بارع ! وأويت بعد ذلك الى الفراش ، وقرأت فى تلك الليلة وأنا مضطجع كتابا بل انى استطيع ان اقول لكم ياسادة عن اسم المؤلف ، . . هو جى دم

موباسان اذ كنت ابدا من المعجبين به . وبعد ان اتممت الرواية تولاني النعاس فنمت ليلتي نوما هادئا عميقا كالأطفال ، وانا اسألكم الآن ياسادة ، هل يقرأ المجانين كتبا هل يجدون فى قراءتها لذة ويحسون سرورا ، وهل ينامون بعد القراءة ، نوما طفوليا عميقا ؟

ان المجانين لا يذوقون طعم النوم ، انهم يتألمون ، ان اضطرابهم كله فى اذهانهم هم يريدون أبدا أن يصرخوا ويمزقوا ويعضوا ، هم يحبون أن يزحفوا على أيديهم وأرجلهم زحفا رفيقا ، هادئا ، ثم يهبوا وقوفا صارخين ضاحكين « ها ... ها » نعم ، نعم ، ولكنني نمت كالأطفال ، وهل ينام المجانين نوم الاطفال ؟

— ٤ —

وبدأ الناس بعد النوبة الثانية يخافون مني وامتنعوا عن دعوتي الى بيوتهم واذا لقيت عرضا فى الطريق بعض معارفي ، قطبوا وجوههم وابتسموا ابتسامة مريعة سقيمة وهم يقولون « ياصديقنا كيف أنت ؟ » وما كان أسهل علي عند ذاك ان أمد اليهم يدي بالاذى ولا ألام عليه ولا أعاقب ، ولكنني تمهلت واردت ان انتظر حتى افوز بتصريح طبي فعلى يكون كاذن لما سيقع من يدي ، وعزمت على ان انتظر كذلك الظروف التى تجعل استشارة الاطباء فى حالتي تبدو كحادث عرضي غير مقصود وان كانت حيطتي هذه تهذيبا فى خطتي لاحاجة اليه ، وكذلك حدث ان تاتيانا نفسها وزوجها هما اللذان اخذاني الى الطبيب ، وكان هذا فى رأيي نقطة بارعة متقنة مؤثرة

قالت تاتيانا « اتوسل اليك ان تذهب الى الطبيب ياعزيزي انتوني ؟ » لقد كانت المرة الاولى التى نادتني فى حياتها بلفظة « ياعزيزي » وهكذا كان يجب ان اجن لكى افوز منها بتلك الكلمة !

فأجبتها فى استكانة وخضوع « سمعا ياعزيزتي تاتيانا سأذهب » وكنا ثلاثتنا فى الحجرة التى قدر لها ان تكون مكان الجريمة ، فقال الكسيز فى لهجة السيطرة والنفوذ « نعم ياانتوني يجب ان تذهب دون تردد الى الطبيب ، والا فلا يعلم الله أي حادث انت محدث؟! » فقلت فى صوت ضعيف متخاذل جبان مرتعد محاولا ان اخلي نفسي من التبعة فى عيني صديق القاسى الشديد « ولكن ماذا استطيع ان احدث ؟ » قال « ومن يعلم ... قد تفلق جمجمة انسان »

وكنت اقلب بين يدى ثقالة ورق ضخمة من البرونز ، فنظرت الى الكسيز ثم الى الثقالة وانا اقول « جمجمة انسان ؟ اتقول الجمجمة ؟ » فقال

« ولماذا ، نعم اقول الجمجمة ، قد تأخذ اداة كهذه فينتهى كل شيء ! »

هذه ياسادتى مسألة لذيذة هامة .. لقد كانت هي الجمجمة التى عزمت على فدغها وهي الاداة التي اجمعت امرى على استعمالها والآن ترون ان هـذه الجمجمة هي قد تخيلت الجريمة بحذافيرها قبل وقوعها ، ولـكن صاحب الجمجمة فاه بكلمته فى ابتسامة غير مكترثة ، ومع ذلك تجد هناك قوما يعتقدون بوجود احساسات هاجسة متنبئة ... اي حمق واية سخافة !

قلت « لايكاد الانسان يستطيع ان يحدث بهذه ضرا ، انها خفيفة » فأجابنى الكسيز مندهشا متعجبا « ماذا تقول ؟ خفيفة » واخذ الثقالة من يدى فأمسكها من يدها وجعل يهزها مرات متوالية ثم دفعها الي ثانية وهو يقول « زنها فى يدك » قلت « انى اعرف مقدار ثقلها » ولـكنه قال « كلا خذها فى يدك وبعد ذلك احكم » فتناولت الاداة من يده فى ابتسامة ضعيفة ، وهنا تداخلت تاتيانا بيننا ، شاحبة اللون مرتجفة الشفتين وهى تقول ، « كف يا الـكسيز عن هذا ، كف عن هذا » فالتفت اليها مندهشا ثم سألها « ولماذا ، مابالك ياتاتيانا ؟ » فرددت القول « امتنع عن هذا ، انت تعرف انى اكره امثال هذا المزاح » وهنا ضحكنا جميعا . ووضعت الثقاله على الخوان

وكانت زورني لطبيب .. ت .. مثل ما كنت أتوقع ، فقد كان الرجل محترساً مدققاً واتخذ سيماء الجد والاهتمام ، وسألنى أسئلة عديدة عما إذا كان لى أقارب يعنون بأمرى ونصح لي ألا أفارق بيتي وأن اسكن الي الراحة والهـدوء . وبحق مهنتى جعلت أناقشه واحاجه وإذا كان قبـل محاجتى له فى ريب من حالتى ، فقد تبددت جميعها بمخالفتى لآرائه فى تشخيص مرضى وتشريحه ، ومنـذ تلك اللحظة وأنا فى نظر ذلك الطبيب مجنون . نعم مجنون ، والجنون الذى بى جنون متوحش مؤيس مطبق ، ولـكنى أؤمل ايها السادة ان لا تضعوا كبير اهمية لتلك المزحة الصغيرة التى موهتها علي رجل من اهل صنعتكم .. إن الاستاذ .. ت .. العالم البحاثة ليستحق ولا ريب كل احترام

ومنذ اليوم الذى اصبحت حياة الـكسيز فى يدي وانا اهتم كل اهتمام بصحته ، ولم

يكن الكسيز قويا شديد الاسر . ومع هذا كان مهملا نفسه غير مكترث بصحته لا يريد ان يلبس قبعاً او يتدثر بصدار ، يخرج فى اليوم البارد القرور دون خيفة ، وكانت تاتيانا تكلف نفسها صعود سلم دارى لتحمل الى انباء زوجها المتوعك المريض وجاءت مرة لتقول لى ان الكسيز نام ليلة الامس فى هدأة ورفق . وكان هذا امراً غير عادى عند الكسيز فأظهرت لهذا الخبر ابتهاجاً وغبطة وطلبت الى تاتيانا أن تحمل الى زوجها كتاباً منى وكان هذا الكتاب نادر الوجود وكان هو مشوقا الى قراءته . ولعل اتحافه بهذه الطرفة كان غلطة منى إذ قد يتهمونني بأني كنت أريد بهديتى ان أعمى القوم عن التماس الحقيقة ، ولكن رغبتى فى ادخال السرور على قلب الكسيز كانت شديدة حارة حتى أجمعت نيتى على أن أجازف هذه المجازفة الصغيرة ، وسلكت فى هذا اللقاء مع تاتيانا مسلكا رفيقاً محبوباً جميلا فرأيتنى أكتسب بذلك شيئاً من انفعالها وتأثر مشاعرها ووجدانها وهى وزوجها لم يشهدانى فى نوبتى الماضيتين ، حتى لقد عز عليهما أن يفهما أننى حقاً مجنون

قالت تاتيانا وهى تستأذن فى الانصراف « هلا جئت لزيارتنا » فقلت مبتسما « لا أستطيع ، ان الطبيب أمرني ان لا أبرح مكانى » فقالت « أية سخافة وأي هراء ! أنت تستطيع ان تأتى الينا ، إذ تكون لدينا كأنك فى بيتك ، وان الكسيز لنهفو نفسه شوقا الي رؤيتك »

وكذلك وعدتها بالذهاب ، وما وعدت فى حياتي وعداً كهذا وكنت فى انجازه أوفق منى فى ذلك اليوم

وكانت الثقالة البرونزية فى موضعها اليوم الحادى عشر من شهر ديسمبر الساعة الخامسة من المساء ، وأنا أدخل مخدع الكسيز ، وكان ذلك قبل تناول العشاء وعشاؤهما فى الساعة السابعة ، و كانا ساعتذاك فى بهجة ومرح ، وازداد مرحهما برؤيتى ، قال الكسيز وهو يشد بيده يدى « أشكر لك ياصديقى الكتاب الذى أهديت ، كان ينبغى ان أذهب أنا لزيارتك ، لولا أن تاتيانا أكدت لى أنك قد أبللت كل الابلال ، وسنذهب الليلة الى دار التمثيل . فهل تصحبنا ؟ »

ومضينا نخوض فى حديث عادى طويل ، وكنت أتكلم بدقة وايجاز ووضوح وجعلت

عيني طول الوقت تستقر على عقرب الساعة ، وقد عزمت على انى اذ تدق السادسة يجب ان أكون قاتلا !

حتى اذا بقيت على الميعاد سبع دقائق نهض الكيز عن المتكأ متثاقلا متبلداً وغادر الحجرة وهو يقول « سأعود بعد هنيهة »

وأردت أن أتجنب عيني تاتيانا ونظراتها فخطوت الى النافذة ففرقت الاستار ووقفت هناك كأنني أنظر وأتأمل ، واذا بي اشعر بتاتيانا دون ان أراها تخترق الحجرة متوجهة نحوى ، وجاءت فوقفت بجانبي ، وكنت اسمع تنفسها الصاعد المتراجع ، وعرفت انها كانت تنظر الى لا الى النافذة ، فاعتصمت بالسكوت

قالت تاتيانا « ما أشد وميض الجليد ! » فلم أحر جواباً ، وعادت تناديني وهي مترددة « انتونى ! » ولكني كذلك لم اجب ، فكررت النداء في صوت متهدج مرتجف فنظرت اليها

وهنا اخذت تاتيانا ترتعش وتمايل حتى أوشكت ان تقع ، كأنما صعقتها تلك القوة المتوحشة المفترسة المرعبة التي كانت تطل من عيني ، ثم وثبت الى جانب زوجها ، وكان في تلك الآونة قد رجع ، وهتفت « الكيز ... الكيز ... انه ... »

فقال « ماذا تريدين ؟ »

قلت دون ابتسام بل في صوت خشن مخيف « انها تعتقد انني اريد ان اقتلك بهذه الاداة » هذا ورحت ارفع في سكون وخفة وصمت الثقالة وتقدمت رويداً نحو الكيز ، فشخص في بصره مصفراً مذهولا مبهوتا ، وهو يكرر هذه الكلمات « هي تعتقد .. »

قلت « نعم هي تعتقد ! »

ورفعت ذراعي في رفق وانا اشير بالاداة والوح وبدأ الكيز في مثل رفقي برفع هو الآخر ذراعه ، وعيناه لم تغادرا وجهي فصحت به في خشونة وغلظة ان « قف ! » وعند ذاك تراخت ذراعاه وبقيت عيناه مستقرة علي ، وبدت على شفتيه ابتسامة خفيفة ذابلة مبهمة وصرخت تاتيانا صراخاً مرعباً مزعجا ولكن كان الوقت قد ازف !

نعم بحد تلك الثقالة أهويت على الكيز أضربه فوق جبهته وقد أنبأني القضاة ياسادة أنني ضربته عدة ضربات ، اذ رأوا جمجمة القتيل مفتتة مبددة ، ولكن هذا أيها السادة مخالف للحقيقة ، أنا ضربت الكيز ثلاث ضربات لاغير ، واحدة وكان

واقفا واثنتين وهو مطروح على ارض الحجرة

نعم ، الحق أقول أن الضربات كانت شديدة قاسية ، ولكنها ثلاث ضربات لا تزيد أتى أذكر ذلك جد التذكر ، نعم ، ثلاث ضربات !

— ٥ —

أرجوكم ياسادتى أن لا تتعبوا أنفسكم فى تحليل هذه الكلمات التى كتبتها فى ختام الفصل الرابع ، ولا تلقوا كثير اهمية على شطحى بمعض الكلمات ولا تعدوها دلائل على عقل مضطرب مجنون ، فان موقفى الغريب الآن يدعونى الى أن أكون دقيقا موفيا كل صغيرة ، أريد أن أكون أمامكم صريحا صراحة ساذجا ، فافهموا ذلك منى واحفظوه

وتعلمون أنتم أن لظلام الليل تأثيرا شديدا على الاعصاب المتعبة المنهوكة ، ولذلك ترون أن الافكار المزعجة والخواطر السوداء الخفية لا تجيئنا الا مع الظلمة ولا تغشى رءوسنا الا مع الليل ، ولذلك كانت أعصابى فى الساعات المظلمة التى أعقبت الجريمة عرضا لاضطراب مدهش غريب ، نعم ما أشد حاجة من كان فى مكانى الى قوة كبرى على ضبط مشاعره ، ان قتل رجل ليس بالشئ اليسير

فلما كان وقت تناول الشاى ، بعد ان قطعت زندى وقلمت أظافرى وغيرت أثوابى دعوت طاهيتى ماريا فاربليفنا الى الجلوس بجانبى ، وكانت هذه المرأة الحمقاء هى التى ضربتنى الضربة الاولى

قلت لها « تعالى فقبليني »

فضحكت ضحكة بلهاء وظلت جامدة فى مكانها ، قلت « تعالى » فارتجفت ، ثم احمر وجهها ، وبدت فى عينيها أمارات الرعب ، وأقبلت نحوى فاتكأت على الخوان فى مظهر الذليل الخاشع المتوسل فقالت « ياصديق أنتونى اضرع اليك الا ما ذهبت إلى الطبيب » فقلت وأنا مندهش مغضب « ماذا ، أأذهب اليه ثانيه » فصاحت المرأة « ويلاه ، لاتصح هذا الصياح ، انك تخيفنى ، انى مرتاعة منك ياصديقى » كل ذلك وهى لم تكن تعلم شيئا عن توفّاى حتى تلك الساعة ولا عن المقتل ، بل كنت أبدو أمام تلك المرأة هادئا وديعا حدبا حنونا

عند ذلك تولانى خاطر غريب . قلت . « اذن أن بى شيئا ليس بالناس ، يخيف القوم

ويرعب » ولكنني طردت هذا الخاطر فى الحال ، ومع ذلك غادر فى احساساً غريبا وشعرت ببرودة فى ظهرى ومفاصلى ، وجعلت أعلل نفسى بأن ماريا علمت ولا ريب بمرضى من أهل البلد أو من ألسنة الخدم أو لعلها لاحظت ملابسى الممزقة التى خلعتها عنى فكان ذلك داعيا لهذا الرعب الذى أبدت فقلت « اذهبى ! »

فلما تولت مددت جسمي على المقعد الطويل امام مكتبي ، ولكننى لم اشعر بميل الى القراءة بل احسست بتراخ ووهن شديدين ، كما يكون من الممثل بعد الابداع فى دوره . وثقل جفناي وتراخت اهدابى وشعرت بطائف النوم واذا بخاطر جديد قد نفذ الى رأسى ، جعل ينساب بطيئا بليداً متكاسلا . وكان له كل المزايا التى امتازت بها خواطرى ـ الوضوح والايجاز والبساطة ـ ثم نفذ الى رأسى واستقر، وها أنا القيه اليكم ايها السادة حرفا بحرف ، فى صورة القالب وهكذا خطر لى ، وان كنت لا أعرف السبب ، وهذا هو« أن من المحتمل جداً أن الدكتور كرجيتز حقا مجنون . هو ظن أنه قد تظاهر بالجنون ولكنه فى الحقيقة مجنون . انه فى هذه اللحظة مجنون» وأعاد هذا الخاطر نفسه فى ذهنى ثلاث مرات أو أربع ، وظللت اضحك لانى لم أفهم « أنه ظن انه قد تظاهر بالجنون . ولكنه فى الحقيقة مجنون ، انه فى هذه اللحظة مجنون »

وتوهمت اول الامر ان هذه الكلمات قالتها ماريا اذ بدا لى ان الكلمات قد وجدت صوتا وان هذا الصوت يشبه صوتها ثم ظننت انه صوت الكنيز ، ثم صوت القتيل الكنيز ، واخيرا تبينت انى انا الذى رددت هذا الخاطر ، وكان هذا شنيعا مرعبا

هنا امسكت بشعر رأسى ووثبت واقفا فى بهرة الحجرة اقول « هوذلك . انتهى كل شيء ! لقد وقع الذى خفت ان يكون ، انني اقتربت من الحدود ودانيت ، والآن لايحتفظ لى المستقبل الا شيئا واحدا .. هو الجنون »

فلما جاءوا للقبض على كنت كما يظهر فى حالة مخيفة رهيبة ، كان وجهى المتوحش الشاحب تقشعر لرؤيته الابدان ، كانت ملابسى ممزقة قطعاً واربا ، ولكن انشدكم الله يا سادة ، إن رجلا يقضى مثل المساء المخيف الذى قضيت دون ان يجن عقله ، الا يدل ذلك على ان لي عقلا قويا جباراً صلباً ؟ انني لم أحدث شيئاً اكثر من تمزيق ثيابى وتحطيم الزجاج . وعلى ذكر الزجاج اسمحوا لى ياسادة ان ادلى اليكم بنصيحة ، إذا قدر لاحد كم ان يعاني

ما عانيت ذلك المساء فليتق من تغطية مرايا الحجرة التى هو بها وليغطها كما تغطى اذا مات فى البيت ميت نعم احجبوها واجيدوا الحجاب

ولا أذكر بعد ذلك شيئاً حتى وصول الشرط ، وسألت كم الوقت فاذا نحن فى التاسعة فكدت لا أصدق بأنه لم يمض على قتل الكسيز الا ثلاث ساعات فقط وان كنت اذكر فلا أذكر الا شيئاً واحداً ، ، هو خاطرى ، هو الصوت

« ان الدكتور كرجنتيز ظن أنه قد تظاهر بالجنون وما كان فى الحقيقة الا مجنوناً »

وعند ذلك جست نبضى فاذا هو مائة وعانون ، نعم ، ان مجرد ذكرى ذلك الصوت كان كافيا لأن يثير دقات نبضى الى هذا الحد

— ٦ —

والآن يا أساطين العلم وأرباب البحث انى منكم اطلب الجواب ، هل أنا مجنون ام غير مجنون ؟ انكم ولا ريب ستنقسمون فى أحكامكم ، سيقول البعض رأيا ويقول الآخر نقيضه ، ولكنى اعدكم بأننى أنى اصدقكم جميعا ، فاعطونى فقط آراءكم وها أنا اقص عليكم كذلك تافهة أخرى ، ولكنها حادثة هامة فقد تميل أذهانكم النيرة وعقولكم الخصبة اليانعة

فى ذات مساء هادىء ساج ، بين هذه الجدران البيضاء لاحظت ان الممرضة «ماكا» كانت تنظر نظرات خائفة مذعورة مضطربة كأنما ازعجت من شىء مخيف ، وتركت الحجرة فظللت وحيدا جالسا فوق الفراش وهنا جعلت أفكر وبدا لي انى أريد أن أعمل اعمالا غريبة ـ نعم ، انا الدكتور كرجنتيزف اردت ان انبح ، نعم ، لا اصرخ بل انبح كما يفعل الآخرون ، اردت ان امزق ثيابى واجرح وجهى وأخدش ، اردت ان آخذ بتلابيب القميص واشقه شقتين حتى الحاشية وانا ، انا الدكتور كرجنتيزف اردت أن انزل على راحتى وركبتى وازحف ! وكان السكوت حولى سائدا ، وقطع البرد تلمع فوق زجاج النوافذ ، وعن كثب منى كانت «ماكا» تصلى لله فى صمت ، فلبثت مدة اعرض على ذهنى اى عمل من هذه اعمل ، واذا مزقت قميصى عرفت فى اليوم التالى . وبكل تعقل وتدبير اردت ان احقق الرغبة الثالثة وهى ان ازحف نعم لن يسمعنى احد واذا جاء انسان ورآني ، اقول انى كنت افتقد زراً سقط

وهنا فكرت « ولكن لماذا اريد أن أزحف هل أنا حقا مجنون ؟ »

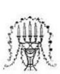
وتولاني الرعب ، ثم تولتني رغبة شديده فى أن أقوم بالثلاثة معا ، انبح وأزحف وأجرح نفسى . فأخذنى الغضب

وسألت نفسى « أتريد أن تزحف ؟ » فلم اسمع جوابا ، فأعدت السؤال « اتريد ان تزحف ؟ » فلم يكن جواب

قلت « اذن فلنزحف ! » وشمرت عن ساعدى ونزلت على اربع وانطلقت ازحف وما بلغت وسط الحجرة حتى تبينت حماقتى فجلست على الارض فى مكاني ورحت اضحك اضحك ، نعم ، اضحك

ولما كنت لا أبرح على اعتقادى أن المرء يستطيع بالبحث أن يهتدى الى شيء من الحقيقة والمعرفة ، قد أخذت على عاتقى أن اهتدى الى مصدر هذه الرغبات المجنونة التى خطرت لي ، اجل ولا ريب من وليدة خاطرى ، وان فكرة التظاهر بالجنون هي التي استدعت مني هذه الرغبات ، فلما حققتها لم اعد مجنونا ولكن ياسادة زحفت ، زحفت ، اي رجل انا ، المجنون يحتفظ عن نفسه ام عاقل ذو لب يحمل فى دوره الى الجنون ، تعالوا اذن ياسادة الى نجدتي ، احملوا رجاحة البابكم تعلو وتهبط بأحدى الكفتين ، حلوا لاجل هذا السؤال القاسى ، آه ما اقلقني فى انتظار حكمكم ، ، ، هل انا مجنون ؟

ترجمة عباس حافظ



فجر الضمير

كتاب جديد للمصرلوجى هنرى برستد

توجد الآن نظريتان فى أصل الحضارة . الاولى نظرية الاصل المتعدد . وهى تقول بأن الحضارة نشأت فى أماكن مختلفة ، فى مصر والهند وما بين النهرين وغيرها فى أوقات تكاد تكون متقاربة ، ويأخذ بهذه النظرية طائفة من العلماء على رأسهم «فريزر» واضع كتاب «الغصن الذهبى» . وأما النظرية الثانية فهى نظرية الاصل الواحد ، ومؤداها ان الحضارة انما نشأت أولا فى وادى النيل ومنه تسلسلت أو انساحت الى الاقطار الاخرى وهذه نظرية اليوت سميث وبرستد وغيرهما من العلماء . وهى النظرية السائدة اليوم لكثرة الشواهد المادية والادلة المنطقية التى تدعمها وترجحها على النظرية الاولى .

ومن المؤلفات الحديثة فى هذا الموضوع كتاب فجر الضمير لهنرى برستد العالم الامريكى المعروف . وهو يقع فى ٤٣١ صفحة كلها شواهد ناطقة بأن أصول الآراء الحديثة فى الفلسفة والدين والاخلاق ترجع كلها إلى المصريين القدماء . لحضارة الفراعنة وجدت قبل حضارة العبرانيين بأكثر من ثلاث آلاف سنة .

وقد كان للثقافة المصرية أكبر نصيب فى تكييف ثقافة العبرانيين الممثلة فى التوراة ويمكن رد كثير من الفكرات التى تتضمنها التوراة إلى أصولها المصرية القديمة . ولا يقتصر الامر على الفكرة فقط ولكن أسلوب التعبير عنها أيضاً مأخوذ عن قدماء المصريين . وحديثاً اكتشف العلماء ان كتاب «امينموب» فى فلسفة الاخلاق هو الاصل الذى نقل عنه جزء كامل من سفر الامثال . وقد وجدوا ان النقل فى بعض الاحوال يكاد يكون حرفياً

ويرى الدكتور برستد ان الهجرة الى وادى النيل ترجع الى حوالى منتصف العصر الحجرى القديم . فقد كانت صحراء افريقيا الكبرى منذ مئات الالوف من السنين أرضاً خصبة لاتنقطع عنها الامطار فلما حلت بها كارثة الجفاف الفاجىء اضطر الحيوان وكذلك

الصيادون الذين كانوا يعيشون فى تلك الهضبة الى الهجرة إلى وادى النيل الذى تكتنفه الصحراء من ثلاثة جوانب . فاصبح هذا الوادى منذ ذلك العهد السحيق «معملا اجتماعياً» لم ير العالم لهشبيهاً على الاطلاق . ففيه قامت أول حكومة فى العالم . ومنذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد نشأت فى مصر فكرة رب الارباب أو بعبارة أخرى فكرة التوحيد ونشأت بجانبها فكرة الثواب والعقاب فى الحياة الاخرى . «فالحياة لصانعى السلام والموت للمجرمين والاشرار»

وقدماء المصريين هم أول من استعملوا الاحجار فى البناء وأول من مارسوا الطب ممارسة دقيقة منظمة ولم يسبقهم أحد فى استنباط فكرة الحق والعدل والخير والضمير

ومن أجل الفضائل التى كان يمارسها المصريون فى عهد المملكة القديمة فضيلة رعاية الاسرة والعمل على دوام روابط السلام والمحبة بين أعضائها جميعاً .

ويرى الدكتور برستد ان الاسرة المصرية القديمة هى الاصل فى نشوء فكرة العدل الاجتماعى التى سادت مصر القديمة . فبينما قانون حمورابى يقدر عقوبة المذنب بحسب مركزه فى الهيئة الاجتماعية ، نرى ان مصر القديمة تقول أن جميع الناس متساوون امام القانون .

وكان الوزير الاكبر عند ما يلى الحكم يزوده فرعون بهذه التعليمات : « من الاثم العظيم فى حق الاله أن تظهر شيئا من المحاباة . . . عامل من تعرفه كمن لا تعرفه [illegible] والقريب من الملك كالبعيد عنه » هذا هو مبدأ العدالة الذى ابتدعه المصريون ولم يسبقهم اليه أحد على الاطلاق . ولم يكن هذا مبدأهم فى الدنيا فقط ولكنهم كانوا يعتقدون انه دستور الاخرة ايضا ، لان كل فرد سواء أكان صعلوكا ام ملكا لابد ان يمثل أمام عرش الديان ، وأنوبيس أله الموتى يزن قلبه وذلك بأن يضعه فى كفة من الميزان ويضع الريشة فى كفة أخرى والريشة هى رمز الحق والتقوى والايمان

وفى سنة ١٣٧٥ قبل الميلاد جاء الملك الثائر المجدد اخناتون فاحدث فى المذاهب الاخلاقية والعقيدة الدينية انقلاباً عظيما . صحيح ان كثيرين من رجال الذهن كانوا قد نبذوا الشرك واعتنقوا التوحيد ولكن اخناتون صمم على أن يجعل التوحيد دين الدولة الوحيد فحمل على الالهة القديمة ومحاها من الوجود وهدم الهياكل وأباد العادات الشائعة والتقاليد الموروثة ودفع الشعب الى عبادة « اتون » الاله الواحد خالق السموات والارض جميعاً ، ذلك الاله الذى يشبه اله العبرانيين شبهاً عجيباً ! ولم يكن اتون الها برأ

عادلا فحسب ولكنه كان الهاً خيراً محباً . لايعنى بخير الانسان فقط بل يعنى أيضاً بجميع المخلوقات من حيوان ونبات . « انت اب وأم كل ماصنعت يداك » هكذا يخاطب فرعون الهه أتون فى « الانشودة الملوكية » التى لم تعرف الدنيا انشودة دينية اسمى ولا انبل منها على الاطلاق

يتضح لنا من هذا ان المصريين هم أول من اهتدى الى عقيدة التوحيد على يد فرعونهم العظيم اخناتون الذى لم يرقه ان يكون الدين طقوسا ومراسم وفروضا تعنى بالمظهر دون الجوهر فلا تمس القلب والروح ، واراد ان يكون الدين ضربا من الصوفية » أى الصلة الروحية بين الفرد وربه

أرأيت اذن كيف كان أجدادنا القدماء ينظرون الي الدين ، أرأيت كيف كانوا ينشدون ربهم ، أرأيت أنهم أول من وضع مقاييس الخير والشر ، وأنهم أول من اهتدى الي فكرة الحق والعدل وفلسفة الضمير ? نحن لا نشك في أن مدنية القرن العشرين اعظم من مدنية قدماء المصريين ولكننا لانشك كذلك في أن العالم كله مدين لمصر الفرعونية بما يعتز به اليوم من مبادىء العدل والحق والضمير . وكلما ازداد العلماء كشفا لتاريخ القدماء ، ازداد ايماننا بان مصر وحدها هى أصل الحضارة ، فازددنا لها حبا واعزازا



البير أو الأسد الهندى

يقصد بالبير ما يسميه الانجليز Tiger واللفظة الأولى فارسية وقد استعملها كتاب العرب · وقد قال الدكتور معلوف فى معجمه :

« أن العرب لم يكن عندهم لفظة يعبرون بها عن هذا الحيوان··· فاستعملوا اللفظة الفارسية ولم يسموه نمراً ولا النمر الهندى · ولا بأس بتسميته بالأسد الهندى ··· فانه أقرب الى الأسد منه الى النمر · وقد وردت لفظة البير كثيراً فى المؤلفات العربية وفى الشعر العربى والمقصود بها هذا الحيوان المخطط المسمى Tiger عند الافرنج · فقد جاء فى كتاب عجائب المخلوقات: « البير حيوان هندى أقوى من الأسد بينه وبين الأسد معاداة» وقال الدميرى فى آخر كلامه عن البير : « وذكر فى ربيع الابرار أن البير على صورة الأسد وهو أبيض ملمع بصفرة وخطوط سود » وقال الجاحظ : « الفيل والبير والطاووس والببغاء والدجاج السندى مما خص الله به الهند »وقال أيضاً : « لان هذه السباع القوية الشريفة ذوات الرياسة كالأسد والببور والنمور لاتعرض للناس إلا بعد أن تهرم فتعجز عن صيد الوحش »


وجه البير

ويعيش البير فى الاقاليم التى تقع شرق بحر قزوين فى جميع أنحاء آسيا ماعدا بورنيو وسيلان، وهو يبلغ جرم الاسد أو يزيد عليه · وله فرو أحمر إلى السواد قد خطت عليه خطوط سوداء · وبطنه أبيض وحول أذنيه ووجهه لمع بيضاء · وببورة الهند أضخم

أجساماً من البيورة التي تعيش في الاقاليم الشمالية

والبير قد يزيد في قوته على الأسد ولكنه جبان يهاب اللقاء ويتفاداه . ولكنه يستحيل وحشاً مفترساً اذا جرح أو اذا ضيق عليه حتى لا يجد المفر . ولذلك كثيراً ما يفترس الصائد بعد أن يحاول الفرار منه وعند ما يعرف أنه لا مناص له من القتال . وهو يحب البطائح والمناقع حيث ينمو القصب والديس الذى يخفيه بأن تختلط خطوط فروه بظلال القصب . وهو يقتات بافتراس الايائل والماشية يثب عليها ثم يقص عنقها . وهو لا يبالى أن يأكل الفريسة التي قتلها غيره كما يفعل الاسد على الرغم من القصص التي تنكر ذلك وتزعم الشهامة عند ملك الحيوان . وقد ذكر أحد الصيادين أن بيراً وجد بيراً آخر مجروحا فجره الي حرش وأكله . وإذا أسن البير وعجز عن الطراد فانه يأخذ في التطواف حول القرى ويفترس الآدميين يخطفهم الواحد بعد الآخر الي ان يصيده اهل القرية

وصيد البيورة رياضة الامراء الهنود والنبلاء من الانجليز . وهم يركبون الفيلة في هوادج ثم يطاردون البير بجماعة من الهنود يصخبون [illegible] حتى يضيقوا عليه . وكثيراً ما يثب البير فوق الهودج ويخطف الصائد أو يهجم على الفيل ويمزق وجهه وخرطومه قبل ان يقبض عليه الفيل ويدوسه بيديه الغليظتين . ويصيده الهنود احيانا بأن يكمنوا له فوق شجرة يربطون اليها بقرة او خروفا . فاذا جاء لافتراسه اطلقوا عليه البنادق . واحياناً يحفرون له هوة عميقة وبها شرك . فاذا تردى فيها انطبق الشرك عليه وقتله



قصة وزير أندلسي

فى عهد الحكم الاسلامي للاندلس ، كانت مدينة « شلب » ولاية كبيرة من أهم مدن الجزيرة على ساحل البحر ، وفى جوارهذه المدينة كانت قرية صغيرة اسمها « شنبوس »

فى هذه القرية الصغيرة وفى سنة ٤٢٢ هـ ولد أبو بكر محمد بن عمار الحروى الشلبي ، الوزير الشاعر المشهور ، نشأ من عائلة فقيرة حقيرة ليس لها فى الرآسة قديم ولا جديد . وتعلم فى هذه القرية ثم رحل الى قرطبة فتأدب بها والتفت الى الشعر حتى برع فيه وكانت له فيه ملكة مكنته أن يقول من المدائح ماجعل ملوك الجزيرة يلتفتون اليه ويطلبونه . وكان فى أول أمره يقول الشعر للتكسب والرزق . فلم يكن يخص بمدحه الملوك والرؤساء ، بل لا يبالى أن يمدح الملوك والصعاليك والسوقة ما دام ينال منهم ما يشاء أو بعضه ، وله فى ذلك خبر ظريف ، فقد كان يطوف الجزيرة يعرض مدائحه على كل من يجد كيفما كان وأينما كان ، فورد يوماً على مدينة لبى علك غير دابته ولا يجد لها علفاً . فذهب الى سوق الشعير ومدح أحد التجار فيه بشعر . فملأ له التاجر مخلاة الدابة شعيراً . . . فوجدها ابن عمار من أجل الصلات . وبقى يذكرها لهذا الرجل

وبقى أبو بكر يتقلب فى بلاد الجزيرة يمدح ملوكها وسوقتها ويربح من شعره الدنانير والشعير حتى ورد على المعتضد بالله ، وكان والياً على أشبيلية وقرطبة . فمدحه بقصيدة من أعلى شعره أولها

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى ... والنجم قد صرف العنان عن السرا

ويقول فيها يمدح المعتضد : —

عباد المخضر نائل كفه ... والجو قد لبس الرداء الاغبرا

قداح زند المجد لا ينفك من ... نار الوغي إلا إلى نار القري

يختار أن يهب الجزيرة كاعبا ... والطرف أجرد والحسام مجوهرا

السيف أفصح من زياد خطبة ... فى الحرب ان كانت يمينك منبرا

فلما سمع المعتضد هـذه القصيدة استجادها وأمر بأن يكتب فى عداد شعرائه ، ومن ثم ابتدأ نجم أبو بكر يعلو ، وفى هذه الاثناء كان المعتمد بالله — ابن المعتضد وولى عهده — شابا . فرافقه أبو بكر واستماله وتودد اليه حتى تعلق به المعتمد وأحبه ، ولم تزل حاله مع المعتمد تزيد وصلته به تقوى وتتأكد حتى «صار ابن عمار أزق بالمعتمد من قصه . وأدنى اليه من حبل وريده . كان لا يستغنى عنه ساعة من ليل أو نهار »

وأرسل المعتضد ابنه الى شلب والياً عليها . فأخذ أبا بكر معه وجعله وزيره . فغلبت محبته عليه غلبة شديدة حتى تقوّل الناس فيهما الاقاويل وساءت السمعة عنهما . فأمر المعتضد بالتفريق بينهما ونفى ابن عمار الى أقاصى الاندلس

بقى أبو بكر منفياً حتى مات المعتضد . فاستدعاه المعتمد بالله بعد أن تولى عرش أبيه . وازداد حبه له وقربه منه تقريباً شديداً حتى كان « يشاركه فيما لا يشارك فيه الرجل أخاه ولا أباه »

وكانت هذه المكانة والمنزلة والتكريم التى نالها أبو بكر فى نفس المعتمد جعلته يتوجس ويخشى إن هذا الطالع الذى زاد عن حده ، ينقلب يوماً الى ضده ، فان أبا بكر يروى فى ذلك قصة عجيبة ، يقول :

« أن المعتمد استدعانى ليلة الى مجلس أنسه على ما كانت العادة جارية به . الا أنه فى هذه الليلة زاد فى التحفى بى والبر لى على المعتاد . فلما جاء وقت النوم أقسم المعتمد علىّ لاضعن رأسى معه على وساد واحد ، وكان ذلك . فهتف بي هاتف فى النوم يقول : لا تغتر أيها المسكين . انه سيقتلك ولو بعد حين ، فانتبهت من نومي فزعا وتعوذت ثم عدت . فهتف بى الهاتف على حالته الاولى فانتبهت ثم عدت فسمعته ثالثة فانتبهت ، فتجردت من أثوابى والتففت فى بعض الحصر وقصدت دهليز القصر مستخفياً به . وقد أزمعت على أني اذا أصبحت خرجت مستخفياً حتى آتي البحر فأركبه وأقصد بلاد العدوة فأكون فى بعض جبال البربر حتى أموت ، فانتبه المعتمد بالليل وافتقدنى فلم يجدنى . فأمر بطلبي فطلبت له فى نواحي القصر وخرج هو بنفسه يتوكأ على سيفه والشمعة تحمل بين يديه . فكان هو الذى وقع على ، اذ أتى دهليز القصر يتفقد الباب هل فتح فوقف بإزاء الحصير الذى كنت فيه . فكانت منى حركة فأحس بي وقال ما هـذا يتحرك فى هذا الحصير . . ؟ ثم أمر به ففتش . فخرجت عرياناً ليس على الا السراويل ، فلما رآنى

فاضت عيناه دموعا وقال : يا أبا بكر . ما الذى حملك على هـذا . . ؟ فلم أر بدآ من أن صدقته . فقصصت عليه قصتي من أولها الى آخرها . فضحك وقال : يا أبا بكر . أضغاث أحلام . هذه آثار الخمار . . . ثم قال لى : وكيف أقتلك . . ؟ أرأيت أحـداً يقتل نفسه . ؟ وهل أنت عندى الا كنفسى . . . فشكرت له ودعوت بطول البقاء ، وتنوسى الامر فنسيته »

وبقى الحال بين المعتمد وأبى بكر على ذلك زمناً . ثم طلب أبو بكر أن يتولى مدينة « شلب » وطنه الذى ولد فيه . فولاه اياها المعتمد وجعل اليه كل أمورها خارجها وداخلها، فلما دخلها فى جيش ضخم وجملة من العبيد والحشم . كان أول شىء سأل عنه ، الرجل صاحب الشعير . . . فسأل هل هو حى . . ؟ قالوا نعم ، فأرسل اليه مخلاته بعينها وقد ملأها دراهم. وقال لرسوله : قل له لو أنك كنت ملأتها براً لملأناها لك تبراً

ولما تولى أبو بكر على « شلب » وغاب عن المعتمد . اشتاق اليه وأوحشه بعده . فأرسل اليه أن يعود ، فلما عاد استوزره . فكانت حاله معه كحال جعفر بن يحيى مع الرشيد واشتهر أمره فى بلاد الاندلس ، وكانوا عند ذكره يسمونه « رجل الجزيرة »

***

كانت حول مملكة المعتمد طائفة من الملوك الصغيرة الشأن الضعيفة الحول . كابن عكاشة صاحب قرطبة . وابن أبي طاهر صاحب المرسية . والقادر بن ذى النون صاحب طليطلة ، فحدثته نفسه بأن يستولى على بلادهم ويضمها الى ملكه ، وأرسل جيشاً الى « مرسية » وأمر عليه وزيره وصفيه أبا بكر بن عمار ، وقال له أبو بكر حين فارقه مع جيشه « أنا ضامن لك بقوة الله أن آخذها لك وأخرج منها ابن طاهر »

وكان ما ذكر أبو بكر . اذ تغلب على مرسية ودخلها وخرج منها صاحبها ابن طاهر هارباً ، فلما رأى أبو بكر أنه حاكم على مدينة غزاها وفتحها . ووجد طوع أمره جيشاً عظيما قويا. حدثته نفسه وسول له رأيه أن يستبد بها ويخلع طاعة المعتمـد ، وكان ذلك ودانت له مرسية واطمأن فيها . وطمع حتى أراد غزو بلنسية ، وفيما هو يحاول ذلك خرج عليه وهو غائب عن مرسية رجل من كبارها اسمه ابن رشيق فغدر به كما غدر هو بالمعتمـد وخرج عن طاعته فأطاعته العامة وبعض الجند ، وتحكم فى المدينة ، فلما سمع ابن عمار ذلك جاء يركض حتى أتى المدينة وقد غلقت أبوابها دونه . ولم يستطع بمن معه من فلول الجند أن

يقتحمها ، وكان قد بلغ المعتمد قيامه عليه وغدره ، فلم ير أبو بكر نجاة الا فى الهرب

وعاد يطوف فى بلاد الجزيرة يستضيف ملوكها ، ولحق ببنى هود فأقام عندهم حتى ثقل عليهم وخافوه . وبغضه فى عيونهم ما فعل مع صاحبه وولى نعمته المعتمد ، ولم تزل البلاد تتقاذفه وملوكها وأهلها تصده حتى وقع الى حصن فى غاية المنعة هو « شقورة » فقابله ابن المبارك — صاحب الحصن — وأكرمه وأحسن وفادته وأنزله منزلا حسنا ، فلما اطمأن أبو بكر فى الحصن ، قبض عليه ابن المبارك وقيده وجعله فى سجنه ، فلما رأى ابن عمار ذلك منه عرض عليه أن يبيعه ، قال له : ماذا لك من حبسى وطول سجنى وتعذيبى . . ؟ اكتب الى ملوك الاندلس بأني عندك واعرضنى عليهم . فما منهم الا يرغب فىّ . فمن كان أشدهم رغبة أكثر لك فى المال ، وأعجبت ابن المبارك هذه الفكرة فكتب الى ملوك الاندلس فى ذلك . فما عرض على واحد منهم حتى رغب فيه ، وكتب فيمن كتب الى المعتمد . فعرض عليه ثمناً يربي على جميع ما أراد أن يبيع به ابن المبارك ، وتم الشراء . وأرسل المعتمد من تسلم أبا بكر من ابن المبارك ودفع له الثمن مالا وخيلا ، وفى ذلك يقول أبو بكر :

أصبحت فى السوق ينادى على رأسي بأنواع من المال
والله ما تبلغ أعلى قيمته من شئ بالثمن الغالي

وأمر المعتمد رجاله أن يوثقوا أبا بكر ويزيدوا فى قيوده ، وأمر به فأدخل الى قرطبة على هذه الحال وقد أركب بغلا على عدلين من « التبن » وقيوده ظاهرة للناس . وكان المعتمد قد أمر الناس عامة وخاصة أن يخرجوا لينظروا اليه فى تلك الحال . « وقد كان قبل هذا إذا دخل قرطبة اهتزت له . وخرج اليه وجوه أهلها وأعيانها ورؤساؤهم . فالسعيد منهم من يصل الى تقبيل يده أو يرد عليه ابن عمار السلام . وغيرهم لا يصل إلا إلى تقبيل ركابه أو طرف ثوبه . ومنهم من ينظر اليه على بعد لا يستطيع الوصول اليه »

ثم أدخل على المعتمد وهو على هذه الحال فجعل المعتمد يعدد عليه أياديه ونعمه . وابن عمار مطرق لا ينبس . فلما أتم كلامه قال أبو بكر : « ما أنكر شيئاً مما يذكره مولانا أبقاه الله . ولو أنكرته لشهدت على به الجمادات . ولكنى عثرت فأقل وزللت فاصفح »
فقال المعتمد : هيهات ... انها عثرة لا تقال ، وأمر به فأحدر في النهر الى أشبيلية حتى أدخلوه بها على الحال التي دخل عليها قرطبة وألقوه فى السجن

وطال سجنه هناك وثار به عذاب نفسه ، فكتب في سجنه هذا قصائد تفيض باللوعة والشكوى والندم والتوسل الى المعتمد . وهو لا يستجيب ، وفي يوم أرسل الى المعتمد هذه القصيدة البديعة التي بلغت الغاية وما أظن أن في العربية شعراً يفوقها أو يساويها أو يدانيها فما قيل له : يقول ابن عمار : ــ

سجاياك ، ان عافيت ، أندى وأسجح   وعذرك ، ان عاقبت ، أجلى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية   فأنت من الأدنى الى الله تجنح
حنانيك في أخذي برأيك لاتطع   عداى ولو أثنوا عليك وأفصحوا
فإن رجائى ان عندك غيرما   يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
ولم لا وقد أسلفت ودا وخدمة   يكران في ليل الخطايا فيصبح

ويقول فيها : ــ

وماذا عسى الواشون أن يتزيدوا؟   سوى ان ذنبي واضح متصحح
نعم لي ذنب غير ان لحلمه   صفاة يزل الذنب عنها فيسفح
عليه سلام كيف دار به الهوى   الى فيدنو أو على فينزح
ويهنيه ان مت السلو فانني   أموت ولي شوق اليه مبرح
وبين ضلوعى من هواه تميمة   ستنفع لو أن الحمام يجلح

فلما بلغت هذه القصيدة المعتمد وأنشدت اليه أدركته بعض الرقة ، فوجه اليه من أتى به ليلا إلى مجلس أنسه . فجيء به يرسف في قيوده . وجعل المعتمد يذكر منته عليه وأياديه قبله . فلم يكن لابن عمار جواب ولا عذر ، غير أن يأخذ في البكاء ، ورق قلب المعتمد وعطفه عليه سابقه وقديم عهده وحرمته . فقال له قولا يتضمن العفو عنه تلميحاً لا تصريحاً . وأمر برده الى محبسه

وبلغ الى سمع « الرميكية » زوج المعتمد أنه يريد أن يعفو عن ابن عمار . وكانت تكرهه . فعارضت المعتمد في العفو عنه وقالت له . هل تعفو عن رجل يذكرني في شعره ويهجوني . ؟ أليس هو القائل :

تزوجتها من بنات الهجا   ن رميكية لا تساوى عقالا
فجاءت بكل قصير الذرا   ع لئيم التجارب عما وخالا

وتردد المعتمد بين القسوة والرفق ، حتى جاء أمر جعله يجزم ، فان ابن عمار لما سمع حديث المعتمد وفهم التلميح الذى فيه بالعفو ، أخذته الحماسة والفرح . فكتب من فوره إلى الراضى - ابن المعتمد - بما كان بينه وبين أبيه ، فورد الكتاب الى الراضى ومعه جماعة بينهم وبين ابن عمار احن قديمة . فلما أخبرهم الراضى عن قرب الفرج الذى سيناله أبن عمار أظهروا الفرح وهم يبطنون الحقد والجزع ، فلما قاموا من مجلس الراضى نشروا حديث ابن عمار وخطابه وزادوا فيه زيادة قبيحة ، وبلغ المعتمد ما قالوا . فأرسل الى ابن عمار رسولا وقال له : هل أخبرت أحداً بما كان بيني وبينك ..؟ فأنكر ابن عمار . فقال المعتمد للرسول قل له . الورقتان اللتان طلبتها لتكتب قصيدة . قد كتبت فى أحدهما القصيدة . فما فعلت بالاخرى.؟ فادعى أنه بيض فيها القصيدة فقال : المعتمد فأين المسودة؟ فلم يجد ابن عمار جوابا

فخرج المعتمد ثائراً وبيده الطبرزين «البلطة» حتى صعد الغرفة التى فيها ابن عمار . فلما رآه عرف أنه قاتله ، فجعل يزحف وقيوده ثقيلة وهو منكب على قدمى المعتمد يقبلها والمعتمد لايني يضربه بالطبرزين ، فلم يزل يضربه حتى برد ، فأمر بغسله وتكفينه ، وصلى عليه ودفنه فى قصر له كان يسمى « المبارك » وصدق الوهم الذي استولى على أبي بكر وأوحي اليه حلمه

وكان ذلك فى سنة ٤٧٩

ولما قتله المعتمد هذه القتلة الشنيعة رثاه صاحبه الشاعر عبد الجليل بن وهبون بقصيدة فيها هذا البيت العجيب : -

عجباً له أبكيه ملء مدامعى وأقول : لا شلت يمين القاتل

محمود الشرقاوى

عالم من الازهر

تجد أخبار أبو بكر بن عمار فى كتب (١) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب (٢) نفح الطيب (٣) وفيات الاعيان ج٢ (٤) قلائد العقيان (٥) المغرب فى أخبار المغرب (٦) الاحاطة فى أخبار غرناطة

ابواب المجلة الجديدة

١ — أخبار اقتصادية
٢ — أخبار اجتماعية
٣ — بين العاملين المصريين
٤ — تقدم العلوم والفنون
٥ — المرأة والمنزل
٦ — الكتب الجديدة
٧ — الصحة والمرض
٨ — أسئلة القراء




أخبار اقتصادية

انتصار البضائع اليابانية

عند اليابان مشروع يسمى « مشروع السنوات العشر » غايته الاستيلاء على أسواق العالم . وهناك جمعيات الفت لدرس هذه الاسواق والوقوف على أثمان البضائع التي تباع فيها ثم صنع هـذه البضائع نفسها في اليابان و بيعها بأثمان منخفضة . وتباع الآن في اوربا هذه البضائع بالأثمان التالية التي لا يمكن الاوربيين ان يزاحموها :

بلبوس المصباح الكهربائي	بقرش للواحد
جوارب الرجال	بثمانية عشر مليما للزوج
القلم الحبار بسن الذهب	بثلاثة قروش
طقم قهوة مؤلف من ٩ قطع	بتسعة قروش
البسكليت	٩٢ قرشاً

وتباع المنسوجات اليابانية في اوربا حيث يصنع مثلها بنحو ٧٠ — ٦٠ في المائة أقل مما تباع به المنسوجات الاوربية . وقد قال أحد أصحاب المصانع في فرنسا « اني لو سرقت المواد الخامة ولم اتكلف لها ثمنا لما استطعت مجاراة اليابان في هذه الأثمان »

وفي العام الماضي انشئت في اليابان تسعة مصانع لصنع الريون (الحرير الصناعي) وهذا غير المصانع القديمة التي تغمر العالم بهذا النسيج الجديد . والارباح التي تعود على الصناعة كبيرة كما يرى من الارقام التالية وهي المتوسط لسنة ٣٢ — ١٩٣٣

صناعتا الورق والاسمنت	١٠	في المائة
صناعات الحديد	١٣ر٥	» »
» الآلات	١٥ر١	» »
» القطن	١٨ر٢	» »
» الخشب	٢٣ر١	» »
» الزيوت	٢٤ر٩	» »

وأعظم ما يمتاز به اليابانيون ثلاثة أشياء هي انخفاض الاجور التي تعطى للعامل وانخفاض النقد الياباني الى ٣٠ في المائة من أصله على قاعدة الذهب . والثالث أن اليابان محدثة في الصناعات وهي لذلك تشترى الآلات الجديدة التي تنتج اكبر مقدار مع أقل التكاليف .

ولكن في اليابان نقطة ضعف خطيرة هي أن هـذا الامتياز الذي تمتاز به من ناحية انخفاض أجور عمالها يجعلها قليلة الاستهلاك لبضائعها التي تصنعها . فهي لا تستهلك في بلادها سوى ٤٠ في المائة مما تصنع وهي تصدر للامم الاجنبية ٦٠ في المائة . فاذا استمرت هذه الامم على زيادة المكوس الجمركية في وجه البضائع اليابانية اضطرت اليابان الى اقفال معظم مصانعها . وعندئذ تتعرض للعطل وما يجر في أثره من اضطرابات اجتماعية . ولم يبلغ مقدار الصادر من بريطانيا والمانيا في أحسن أيام الرخاء اكثر من ٢٥ في المائة مما كانت تنتجه مصانعها والباقي وهو ٧٥ في المائة كان يستهلك داخل البلاد لان أجور العمال عالية تمكنهم من الشراء والتمتع . ولم يبلغ الصادر من الولايات المتحدة اكثر من ١٢ في المائة من الانتاج والباقي وهو ٨٨ في المائة كان يستهلكه الجمهور لعلو الاجور هناك . ومن هنا يرى القارىء ان أعظم ميزة اليابان وهي انخفاض الاجور هي أيضا أخطر مكان الضعف في صناعاتها

اتفاق الشركات بدل تزاحمها

لا يظن القارىء ان الاحتكار هو نتيجة استئثار احدى الشركات بعمل تنفرد به دون غيرها ، لانه اذا كانت هذه هي الحال في شركة النور وبعض الشركات الاخرى ، فان هناك احتكاراً جديداً اصبحنا نراه في مكان المزاحمة التي كنا ننتظرها . وهذا الاحتكار ينشأ بالاتفاق بين الشركات التي كان الوضع التجاري الاصلي يقول او يوهم بتزاحمها

وهذا هو الحادث الاول مثلا في الشركات التي تبيع البترول والبنزين . فلها رأت انها تخسر بالمزاحمة وأن الجمهور هو الرابح منها . فعمدت الى الاتفاق فيما بينها حتى أصبحت كأنها شركة واحدة تقرر الاثمان العـامة وتمنع المزاحـمة . وقد أصبحنا باتفاقها نشترى البترول والبنزين بأغلى الاثمان . ومما زاد هذه الشركات طغيانا تقتها بأن الحكومة

المصرية تقاطع روسيا وتكره الاتجار معها فليس هناك اذن ما نخشاه من استيراد البترول منها وبيعه بثمن منخفض لقاء تصدير القطن اليها مثلا

وهذه الشركات الآن قد اتفقت فيما بينها على ألا تعتدى واحدة منها على ميدان تستغله الاخرى أو أن تستخدم عمالها أو تزاحمها فى مناقصة الحكومة . وهي تستعمل نفوذها وأموالها لمنع الافراد من شراء أرض فى جهة المكس (بالاسكندرية) لبناء الصهاريج فى المنطقة الجديدة حتى يصبح من المحال انشاء شركة جديدة للبترول فى المستقبل ثم هى تشترى الآن أمكنة حسنة فى جميع الشوارع بالقاهرة والاسكندرية لكى تسد الطريق على كل من تحدثه نفسه بالاتجار بالبترول فى المستقبل مالم يخضع لشروطها . وقد شرعت هذه الشركات المتحدة فى سحب الرخص الفردية حتى أصبح ٨٠ فى المائة من رخص البنزين التى تملكها الدكاكين ملكا لها . وذلك لكى تقفلها عندما تجد ابهامما كسة من صاحب الدكان . وقد حدث من مدة قريبة ان تاجراً يشتغل ببيع البنزين فى القاهرة اختلف مع الشركة التى تمده بالبنزين فنزعت طلمباتها من دكانه . فبحث هذا التاجر عن طلمبات واهتدى اليها بعد العناء وأقامها فى دكانه . فلما أراد شراء البنزين من هذه الشركات رفضت جميعاً أن تبيعه هذا السائل الذى يعيش بالاتجار به . ومما يذكر أيضاً ان أحد التجار أراد أن يبيع البنزين بأقل من السعر الذى عينته الشركات وأرتضى لنفسه ربحا قليلا فلما علمت الشركة بهذا العمل أوقعت عليه غرامة وهددته بالمقاطعة

وعلى ذلك يمكن أن نقول ان المزاحمة بين الشركات غير مضمونة البقاء وأن الاتحاد بينها يؤدى الى احتكار لايختلف عن الاحتكار الذي نراه من شركة النور

الخشب والحرير

كان المصنوع من الريون اي الحرير الصناعى فى العام الماضى اكثر من ستة ملايين قنطار اى نحو محصول القطن فى مصر . وكل درهم من هذا النسيج الجديد الذى يستخرج من الخشب يستعاض به عن القطن . فاذا اطردت الزيادة فى الثلاثين او الاربعين من السنين القادمة فان القطن يعود من المحصولات التى يمكن الاستغناء عنها ما لم تعرض للبيع بارخص الأثمان

وهذا الريون تتفاوت مواده حتى ليباع منه المتر بقرش او بمائة قرش كما انه يقبل

الاصباغ التى لايقبلها الصوف او القطن · وهو كما قلنا يصنع من الخشب وخاصة خشب الصنوبر . وقد شرعت الامم اليقظة تستعد ليوم الذي يتغلب فيه الريون على جميع المنسوجات فغرست زيلندا الجديدة مليون فدان باشجار الصنوبر . والمصنع الذى يصنع الريون يمكنه بالثقافة الكيماوية التى يتثقف بها صناعه ومهندسوه ان يصنع أشياء أخرى لاحصر لها من رب الخشب مثل الورق والصوف الصناعي والجلد الصناعى والباغة والافلام السينمائية والزجاج الذى لاينشذر واقراص الفونوغراف واصباغ الاكيه وغير ذلك

وقد القينا خطبة قبل سبع سنوات قلنا فيها ان مصير القطن الى الانقراض امام الريون فلم نجد من يصدق هذا القول · والان وقد بلغ محصول الريون محصول مصر من القطن فهل من يصدق الان قولنا وهل تفتح الاعين المنمضة لترى هذا المستقبل المظلم لزراعتنا ونحن نجهل الصناعات جهلا يكاد يكون تاما ؟

تقرير بنك مصر

مما يسر كل مصرى أن بنك مصر سائر من نجاح الى نجاح . وقد بلغت أرباحه الصافية هذا العام ١٤١٩١٠ جنيه وحددت قيمة الكوبون الذى يوزع هذا العام بمبلغ ٣٢ قرشا أى ٨ فى المائة من قيمة السهم الاسمية . ورأس مال هذا البنك موزع على ٢٥٠٫٠٠٠ سهم يملكها مصريون . ومما يزيد الثقة فى هذا البنك العظيم أنه يملك الآن عقارات تقدر قيمتها بنحو ٣٦٢٫٤٠٦ جنيه وشركات البنك التى تأسست بمساعدته ورعايته فى تقدم مطرد . فقد تضاعف انتاج شركة مصر لغزل ونسج القطن واشترت آلات جديدة. وكذلك الحال فى شركتى مصر لنسج الحرير ولنسج الكتان . ولقيت شركة مصر للطيران نجاحاً عجيباً

وقد استطاع البنك أن يوجد نواة لاسطول مصرى تجارى واشترى بضع بواخر لهذا الغرض كما أنه قد توفق لانشاء شركة للتأمين سوف تكون مدرسة يتعلم فيها شباننا هذا الفن الاجتماعي الخطير

أخبار اجتماعية

الاجتماع والسياسة فى الهند

تحدث مراسل البلاغ فى بومباى مع ساروجينى نايدو الشاعرة وصديقة غاندى عن أغراض غاندى الآن وهل هو ترك السياسة فأجابته الاجابة التالية :

وهل نحن تركنا الاشتغال بها ؟ إننا لا نفتر عن محاربة الغاصبين لحظة واحدة فى سبيل الحرية ، وكل عمل يفيد الامة هو عمل سياسى ، ومن الخطأ أن تسمى العمل لبناء الامة وتثقيف عقولها وارشادها اقتصاديا وعلمياً واجتماعياً ، من الاعمال الخارجة عن الميدان السياسى ، فبناء الامة وتهيئتها لحرية من أهم واجبات الزعماء ، ولكى تقتنع بذلك تمام الاقتناع أذكر لك أن عدم التعاون فى الهند ليس الغرض منه مناوأة الانجليز فحسب ، ولكنه يتفرع الى خمسة مقاصد:

(أولها) اتحاد المسلمين والهندوكيين وجمعهم على فكرة واحدة يعمل لها الجميع

(والثانى) الاخذ بيد الطبقات المنبوذة فان اشتراكها فى تنفيذ سياسة عدم التعاون يقربها من بقية الشعب ، ويدفع الهندوكيين الى العطف عليها

(والثالث) نشر المغازل فى البيوت وبين الاسر فانه يوجد للفقراء وسيلة للارتزاق يدفع ما هم فيه من الفاقة والاملاق ، وانما كانت الدعوة الى استعمال المغزل متوالا يفسح القوم عليه فى غير ذلك من الصناعات

(والرابع) نشر التعليم لان عدم التعاون يهيء الشعب الى الاعتماد على نفسه والتعليم — كما نعلم جميعاً — هو أحد العمد الاساسية التى يرتكز عليها قوام الحياة اليقظة المنتجة

(والخامس) جمع الهند على لغة واحدة فتشتد بذلك الرابطة الوطنية بين الهنود جميعاً

هذه كلها مقاصد قد يسميها البعض اجتماعية ولكنها فى الواقع من صميم السياسة

إيطاليا تستعمر طرابلس

اختارت الحكومة الايطالية فى الشهر الماضى مائة فلاح إيطالي ممن يعيشون فى القرى

الواقعة على البحر الادرياتي وحملتهم بالمجان على بواخرها الى طرابلس . وهناك قررت عليهم بناء قريتين تفتيهان في علم ومنحت كل رجل منهم بقعة من الارض الزراعية التي تجود فيها الحبوب والخضراوات . وقد شرطت عليهم أن يتموا بناء بيوتهم قبل نهاية العام واذا أهمل واحد منهم أو أساء الى البناء فله يحرم من الارض ويعود عاملا أجيراً لاولئك الذين أحسنوا البناء والحرث . فاذا دار العام والفضح نجاحهم وبنيت القريتان عمدت الحكومة الايطالية الى أسر هؤلاء الفلاحين فحملتهم على بواخرها بالمجان الى طرابلس حيث يلتحقون بأزواجهم ويعيشون معهم مدى حياتهم

ومن قبل عام قامت الحكومة الايطالية بمثل هذه التجربة فنجحت فيها . وفي طرابلس الآن قريتان هما اللتان قام ببنائها المهاجرون الايطاليون بدعوة من الحكومة الايطالية وكان نجاح هذه التجربة الاولى دافعا لها على أن تكررها هذا العام ثم تقوم بتكرارها في الاعوام القادمة . وبذلك تتمكن من تخفيف الازدحام في ايطاليا وتستعمر أيضا قطر طرابلس

واذا استمرت الحكومة الايطالية على هذه الخطة فانها ستؤدي بلا شك الى اجلاء العرب عن وطنهم واسكان الايطاليين مكانهم

تفتيش الملاجيء

انتشرت الملاجيء في انحاء البلاد ولكن انتشارها كان مفاجئا لذلك ظهرت فيها نقائص ترجع إلى السرعة في الانشاء وهي تحتاج الى العلاج السريع قبل ان يستشري الداء . فمن ذلك ما حدث في الشهر الماضي في ملجأ للشيوخ والعجزة بالاسكندرية حيث ألقت النيابة القبض على ناظر الملجأ واتهمته بأنه عذب احد اللاجئين الذي حاول الانتحار تخلصاً منه وذلك بأن

١ — كان يجرده في أيام البرد من كونه ويتركه في جلباب خفيف وقميص من العبك

٢ — كان يطرحه ويشد وثاقه ويضربه على قدميه بخيزرانة

٣ — كان يسلط عليه الدش البارد في الشتاء

٤ — كان يحبسه في غرفة مددا مختلفة

وكان ينزع القشدة من اللبن الذي يعطى للشيوخ والعجزة ويضيف الى اللبن ماء، واحيانا لايعطيهم غير الخبز والملح

والقضية الان قيد تصرف النيابة . ولكن يجب أن يكون في هذا الحادث انذار لوزارة الداخلية لكي تزيد رقابتها وتضرب على ايدى امثال هذا الناظر . وفي السجون نظام يقضي على وكيل النيابة بأن يزور السجن ويسأل المسجونين عن شكاواهم . فلم لا يكون مثل هذا النظام في الملاجيء أيضا ؟

مبادىء الثورة لشباب الترك

افتتحت أخيراً جامعة استانبول الجديدة ومن أهم أقسامها معهد يقال له « معهد الثورة » وهو معهد يروم زعماء الجمهورية ان يلقنوا فيه شباب تركيا أفكارهم السياسية الاساسية ، ويستأصلوا شأفة مابقى من أثر « العقلية العثمانية » القديمة من عقول الشباب . ثم ان شبيبة البلاد قد تشبعت بالمبادىء الجمهورية ولكن على نمط غير على فاراؤها في التاريخ التركي وفي الكتاتيب الذى نشأ في الدولة الجديدة لم تؤسس على قواعد متينة . فاراد ولاة الامور في انقرة « بمعهد الثورة » ان يصلحوا هذا النقص وان يرسلوا الشبان الترك الى ميدان الحياة مصوغة عقولهم وفقا للافكار التي انشأت الثورة

وقد ابتدأ « تعليم تاريخ الثورة لشبان الترك » بمحاضرات هامة كان الباديء بها في هذا الشهر وزير المعارف . وبتولى بعده القاء محاضرات أخرى رجال من أصحاب المقامات الرفيعة مما يدل على أن ولاة الامور في انقرة مهتمون أشد اهتمام بجعل هذا التعليم شطراً أساسيا من تربية كل تركي وكل طالب في الجامعة . ومن هؤلاء العظماء الذين نيط بهم القاء محاضرات بعد وزير المعارف وزيران سابقان للحقانية وهما محمود أسعد بك ويوسف كمال بك ومنهم رجب بك رئيس حزب الشعب

ومما ورد في أولى محاضرات حكمت بك وزير المعارف قوله أن للثورة التركية اربع مراحل وهي المرحلة العسكرية فالمرحلة السياسية . ثم المرحلة التشريعية التي اقتبست في خلالها الحكومة قانوناجديدا للبلاد . وأخيراً المرحلة الحاضرة وهي المرحلة الاقتصادية . وسيعالج كل مرحلة منها زعيم من رجال الحكومة حتى اذا انتهت المحاضرات يكون

الطالب التركي قد تكونت عنده فكرة عامة عن التغيير الذي طرأ على تركيا ونقلها من السلطنة العثمانية الى الجمهورية الجديدة وتكون المبادئ التي أحدثت هذا الانقلاب قد رسخت فيه

نحو الفاشية

يتجه السياسيون من اليمين بل أحياناً من اليسار نحو الشك في قيمة الحكومة الديموقراطية ولذلك يميلون الآن الى زيادة الحقوق التي للهيئة التنفيذية أي الحكومة ونقص الحقوق التي للهيئة التشريعية أي البرلمان . فمن ذلك أن المسيو تارديو أحد رؤساء الوزارة الفرنسية الماضية وضع كتاباً يقترح فيه .

١ — منح رئيس الجمهورية الحق في حل مجلس النواب بلا حاجة الى موافقة مجلس الشيوخ كما ينص الدستور الحاضر في فرنسا

٢ — حرمان أعضاء البرلمان من اقتراح المشروعات التي تحتاج الى زيادة أو نقص في نفقات الدولة وقصر هذا الحق على الهيئة التنفيذية

٣ — تقرير مبدأ الاستفتاء أي استشارة الشعب في بعض الشئون الخطيرة

٤ — الاقلال من نفوذ الموظفين

٥ — منح النساء حق التصويت

وهذه المقترحات مهما في حقيقتها تنقيح للدستور ولذلك تحتاج الى اجتماع المجلسين

عدد الاطباء

يبلغ عدد الاطباء في مصر ٢٩٧٦ منهم ٨٠٦ من الاجانب ومن هؤلاء نحو ١٣٠٠ طبيب موظف في الحكومة أو في الهيئات المنظمة . وهناك نحو خمسة في المائة متقاعدون اما لتقدم في السن واما لأنهم لا يشتغلون بالطب

ومن هذه الارقام يتضح للقارئ ان الطبيب المصري الذي يعمل في العيادة الحرة يلقى مزاحمة قوية جداً من الطبيب الاجنبي . ولهذا السبب يجب على الحكومة أن تمنع هجرة الاطباء الاجانب الى مصر لأن كل طبيب أجنبي يمارس الطب في مصر انما يخطف

الهفمة من فم الطبيب المصرى . وهو مع ذلك لا يفضل الطبيب المصرى بل هو فى أغلب الاحيان دونه فى العلم والمران

فوز العمال فى مجلس لندن البلدى

فاز المرشحون العمال فى انتخابات المجلس البلدى فى لندن . وإيرادات هذا المجلس تبلغ نحو ٤٠ مليونا من الجنيهات أى انها تزيد على إيرادات الحكومة المصرية . ويعزى فوز العمال الى رغبة السكان فى هدم المنازل القديمة وقيام المجلس ببناء المنازل الجديدة . وكان المحافظون المستولون على المجلس غير نشطين فى حركتى الهدم والبناء

المرأة فى ميدان التعليم

قالت مجلة التربية الحديثة.

تحتكر المرأة الاميركية مهنة التعليم فى المدارس الابتدائية، وتكاد تحتكرها فى المدارس الثانوية ، ولها نصيب من المناصب الجامعية ، ولا يقل عدد النساء فى معاهد أمريكا على اختلاف أنواعها عن سبعمائة الف معلمة على أنه من الغريب أن يكون لهن نصيب لا يستهان به فى الوظائف الادارية الكبرى، فيؤخذ من الاحصاء الاخير أنه من مديرى التعليم فى الولايات المتحدة يوجد ١٦ امرأة (أي ١٤ ٪ من مجموع مديرى التعليم) ، وبين رؤساء الجامعات ومديرى الكليات يوجد ٤٧ امرأة (٩ ٪ من المجموع) ، وبين جميع الوظائف الادارية الكبرى يوجد ٤٣٦٠ امرأة (أى ٢٩ ٪ من مجموع هذه الوظائف)

ثروة الهند

تبلغ ديون الهند البريطانية الآن ١٣٠،٠٠٠،٠٠٠ر١٢ روبيه . وهذه الديون عقدتها الحكومة الهندية فى أسواق لندن فالدائن هنا هو الجمهور الانجليزى والمدين هو جمهور الفلاحين من الهنود الذين تفرض عليهم الضرائب لسداد الاقساط

وقدمت الميزانية للسنة القادمة فقدرت النفقات بمبلغ ٧٠٥،٠٠٠،٠٠٠ روبية منها ٤٤٥،٠٠٠،٠٠٠ روبية تنفق على الجيش أى أكثر من نصف المصروفات

بين العاملين المصريين

فى الشهر الماضى احتفل جماعة كبيرة من دعاة الوطنية الاقتصادية بمرور ٢٠ عاما على تأسيس مخازن الراعى فى الغورية بالقاهرة . وقد ألقيت الخطب وأقيمت المحافل والزينات لهذا العيد الذى حضره كثيرون من الكبراء والاعيان . وقد كان بين الخطباء الاستاذ سلامه موسى الذى ألقى كلمة قال فيها : إن الراعى لم يتجر بالمصنوعات المصرية فقط ، بل كان داعية اليها . فان كل اعلان من اعلاناته درس فى الوطنية الاقتصادية . وهو أحسن مثال للتاجر المصرى الذي يضع الوطنية فوق كل اعتبار ، ولا ينسى أن الشرف والذمة والامانة هي السبيل للنجاح . ونحن عندما نشترى شيئاً من الراعى نعرف أننا نشترى أجود الاقمشة بأقل الاثمان . وقد أصبح من الممكن أن نتخذ جميع لباسنا من اخمص القدم إلى قمة الرأس من المصنوعات المصرية ، ومن هنا قيمة التجار المؤمنين بالصناعة المصرية الداعين اليها مثل الراعى . ثم ناشد ربة البيت أن يكون شعارها إيثار الصانع المصرى على الصانع الاجنبى ، وحتى عندما تلجئنا الضرورة الى أن نشترى البضاعة الاجنبية ، فيجب أن نشتريها من التاجر المصري ، ثم ختم خطبته بقوله : « إنى أهنىء الراعى بعيده الفضى وأدعو لمخازنه بأن تعيش وتنمو حتى نحتفل احفادنا بعيدها المئوى الذهبى »



محمد كامل بدوى افندى

***

ننشر هنا صورة الشاب محمد كامل بدوى ، لاننا نرى فيه مثالا للهمة والاستقامة والنشاط فى العمل الحر . وهو يدير مصانع بدوى بك

فى الاسكندرية . وهذه المصانع تصنع الحلويات والمكرونة والصابون . كما انه يدير مصنع الصاج المدهون الذى أنشأه محمد بدوى بك واخوان درة فى الاسكندرية . وقد راجت مصنوعات هذا المصنع رواجاً عظيماً مع انه لم يمض على انشائه سوى سنتين . وجميع الآنية والاطباق التى تصنع فيه تباع الآن فى أنحاء القطر المصري ، كما تباع فى السودان وفلسطين والحجاز ، وقد عهدت اليه الحكومة صنع اللوحات التى تكتب عليها أسماء الشوارع وأرقام البيوت . وهذه الصناعة جديدة فى مصر وهي فتح جديد من فتوحات الوطنية الاقتصادية تزيد ثروة مصر وتنقص عدد العاطلين فيها من أبنائها والدائنين لها من الاجانب . وهذا الشاب هو الآن عضو فى مجلس ادارة الغرفة التجارية المصرية

***

من شبان الاسكندرية النابهين هذا الشاب احمد مختار الناضوري . ونحن نعرف عن بلائه فى الصناعة والتجارة المصرية شيئاً كثيراً . فقد كان ولا يزال يمدنا بالمعلومات الاقتصادية وكان له ضلع كبير فى حركة المصرى للمصرى . وهو يتجر الآن فى الاتومبيلات ولوازمها من اطارات وقطع تبديل وبنزين وزيوت ونحوها . وقد استطاع أن يثبت أمام المزاحمة الاجنبية وأن يحقق لنفسه نجاحاً كبيراً . وبعض المعلومات الاقتصادية التى فى هذا العدد من المجلة قد استقيت منه . وليست هذه المرة الاولى التى نعتمد فيها على معلوماته

احمد مختار الناضوري افندى

***


عزه محمد الشيراويشي افندى صاحب مصانع العطور

اصبح اسم الشيراويشي يجرى على كل لسان بالعطر الجديد الذى اخرجه بأسم « رائحة صفيه زغلول » وهو عطر يجد المتأنقون انه يمتاز على كثير من العطور الاوربية الغالية التي تباع بأضعاف ثمنه

وقد مضى على مصانع الشيراويشي عشر سنوات . ولم يكن بها حين ابتدأت سوى عاملين ولكنها تستخدم الان اربعين عاملا وتضع نحو ٥٠ لونا من العطور وهى منتشرة الان فى مصر والسودان وبعض الاقطار الشرقية حتى ان بعض التجار الاجانب يشترونها ويعرضونها بعد أن رأوا الحاح الزبائن فى طلبها

وفى هذا الشاب همة نادرة وعصامية عجيبة تستحق ان تكون قدوة يقتدى بها شبابنا . وهو يثابر على عمله وينتبه الى جوانب الرقى فيه فلا يفتأ يبتكر ويجود حتى يحقق الغلبة فى ميدان لم يكن واحد يظن ان المصرى يمكنه ان يفوز فيه امام السيل الجارف من واردات العطور من فرنسا وغيرها

• • •

نشر تقرير بنك مصر وهو مثل جميع التقارير الماضية يستحق الدرس من جميع المشتغلين بالاقتصاديات ، ومنه يتضح نجاح هذا البنك ونجاح جميع شركاته ، ويجب على جميع المتعلمين العاطلين أن يذكروا أن موظفى هذا البنك المصرى بلغوا فى العام الماضى ٥٩٨ موظف ولو كانت جميع البنوك والمتاجر فى مصر مصرية لما كان عندنا

شاب متعلم عاطل . فهل تتعظ من ذلك وتقبل على التجار المصريين الذين يستخدمون شبابنا أم فستمر فى معاملة المتاجر الاجنبية دون المصرية ، مع علمنا بأنها لا تستخدم المصريين ..؟

* * *

من التجار المصريين الذين يستحقون الثناء السيد أحمد الحصانى وهو تاجر صانع له مخزن للبيع فى السكة الجديدة وله مصنع لنسج الاقمشة . وقد ورث هذه الصناعة عن والده ولذلك كان شهرة الحصانى ترجع الى نحو خمسين سنة بل أكثر . وقد كان



السيد أحمد الحصانى

الوقت قريب مختصاً بنسج الاقمشة الشرقية التى تصنع منها القفاطين والاحزمة والعباءات ونحو ذلك من الملابس البلدية ، ولكنه منذ سنوات قريبة شرع ينسج الاقمشة التى تصنع منها البذلة الافرنجية ، وقد نجح نجاحا باهراً فى ذلك وخاصة فى الاقمشة الحريرية . وهذا بالطبع الى نجاحه فى جميع الاقمشة التى تصنع منها المفروشات الغالية والستائر الثمينة ،وقد انتفع مصنعه بزيادة المكوس الجمركية على الواردات الاجنبية فصار يستخدم نحو ٤٠ عاملا مصريا بعد ان لم يكن عنده سوى ١٥ عاملا ، ونحن نرجو ولاة الامور قبل أن يفكروا فى خفض هذه المكوس أن يقصدوا الى المصانع المصرية ويسألوا عن عدد العمال الذين زادوا بعد أن حميت الصناعات المصرية عن سبيل الجمارك التى نقصت الواردات الاجنبية

تقدم العلوم والفنون

مقال الاستاذ عبد القادر حمزة

يرى القارىء فى هذا العدد مقالا للاستاذ عبد القادر حمزة عن سرقات الادب الاغريق من الادب المصرى القديم . وقد يتشكك البعض فى اتصال الاغريق بالمصريين ووقوفهم على القصص والقصائد والثقافة المصرية عامة فلهؤلاء نقول ان هوميروس ذكر مدينة طيبة المصرية فى الياذته فى الجزء التاسع وفى الاشعار من ٣٨٢ الى ٣٨٤ فقال ما ترجمته :

« طيبة مدينة مصر التى تفيض بيوتها بالكنوز

« لها مائة باب ومن كل باب يخرج مائتا

« رجل أقوياء لأجل الحرب مدججين بالسلاح راكبين الجياد »

ونزيد على ذلك ان امون [illegible] المصرى المعروف قد ذكر [illegible] فى القصائد الاغريقية لغير هوميروس

وقراء هذه المجلة يعرفون من مقالات كثيرة سابقة لنا أننا نؤمن بتسلسل الثقافة وان مردها الى مصر . فلا عجب ان تخرج القصص المصرية من مصر وتتفشى فى العالم وينتفع بها هوميروس . ويلوح لنا ان فى قصة السندباد العربية أثرا من قصة السائح المصرى . وقد لا تكون قصة روبنسون كروزو كلها اختراعا من مؤلفها الانجليزى . ولكنا لا نجزم فى هذا الموضوع بشىء

أذكى الحيوانات

يقول الدكتور بلير ان الحيوانات العشر الاولى فى الذكاء هى بترتيبها : البعام أو الشمبنزى . ثم الاورانج أوتان ثم الفيل ثم الغوريلا ثم الكلب الاليف ثم القسطر الذى يسمى فى اللغة الانجليزية Beaver وهو يعيش فى الانهار الشمالية فى آسيا وامريكا . ثم الفرس . ثم الاسد البحرى . ثم الدب . ثم القط

ويقول الدكتور بلير أنه لو اتيحت للبعام فرصة العيش والالفة مع الانسان كما اتيحت للكلب منذ آلاف السنين لرأينا عجبا من ذكاء البعام

النعامة فى روسيا

كان المظنون أن النعام يعيش فى الاقاليم الحارة فقط إذ هو من طيور افريقيا. ولكن الروس لا يظنون ذلك وقد اتضح ان ظنهم هو الصواب . فان للنعام طبقة دهنية كثيفة تحت الجلد تقيه حر افريقيا . وقد وجد أن هذه الطبقة كما تقيه الحر كذلك تقيه البرد . وهم لذلك يستوردونه ويربونه للطعام . فان النعامة تبيض نحو ١٦ بيضة هى ١٦ فرخا ضخما يتراوح وزن الواحد منه بين ١٢٠ و١٤٥ رطل . فكأن النعامة الواحدة تنتج طنا من اللحم فى العام الواحد . ومن هنا العناية بتربيتها

الشعوب والامراض

مما يلاحظ ان بعض الشعوب تتفشى بين أفرادها أمراض لاتتفشى بين الشعوب الاخرى . وهناك بالطبع مجال للخلط بين علاقة المرض بالاقليم وبين علاقته بالشعب . ولكن مع ذلك يمكن أن يقال بأن بين بعض السلالات البشرية وبعض الامراض علاقة . فان اليهود مثلا يكثر بينهم الديبيطس والسرطان والترهل والاختلال العصبى ولكنهم أقل تأثرا من غيرهم بالتدرن

والزنجى فى الولايات المتحدة أقل تأثرا بالملاريا والحصبة والحمى القرمزية والدفتريا من البيض . ولكنه يتأثر أكثر منهم بالتدرن والانفلونزا وأمراض القلب

ولا يزال الاسكيمويون يجهلون نخر الاسنان والتيفوئيد

وسكان الاقاليم الشمالية فى أوربا يجهلون الغوطر مع أنه يتفشى بين سكان الالب

دلالة الحائرين

التى الدكتور اسرائيل ولفسنون محاضرة عن موسى بن ميمون الذى أقام بالقاهرة مدة صلاح الدين قال فيها أنه الف كتاب « دلالة الحائرين » باللغة العربية ولكنه كتبه بحروف عبرية . ووأوضح أنه تعمد ذلك خوفا من أن يشغب عليه العامة من العلماء

الكتب الجديدة

النثر الفنى فى القرن الرابع

للدكتور زكى مبارك صفحاته ٧٦٨ من القطع الكبير طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

الدكتور زكى مبارك أديب دؤوب ، طموح ، نزاع الى المعالى ، شغوف بالتجديد . وقد عنى قبل كل شىء بتجديد نفسه . فقد نشأ أزهرياً قحاً ، ولكنه لم يشأ ان يقنع نفسه بالثقافة الازهرية . بل أخذ يتحايل على الزيادة عليها . وقد وجد فى أستاذه الدكتور طه حسين قدوة حسنة فراح يترسم خطاه . ولقى فى ذلك « من عنت الايام ما يقصم الظهور ويقصف العمر » على حد تعبيره فى فاتحة هذا الكتاب الذى يقول عنه « وهو كتاب شغلت به نفسى سبع سنين ، فان رآه المنصفون خليقاً بان يغمر قلب مؤلفه بشعاع من نشوة الاعتزاز فهو عصارة لجهود عشرين عاماً قضاها المؤلف فى دراسة الادب العربى والادب الفرنسى . . . الخ »

ونحن ننصف المؤلف رغم أنه « أحب ان يكون فى طليعة المنصفين لنفسه » فنقول ان كتابه يعد فتحا جديداً فى الادب العربى وان الدكتور قد خدم اللغة العربية خدمة جديرة بالاعجاب والتقدير من كل ناقد نزيه . فعسى ان يكون هذا الكتاب فاتحة عهد جديد فى حياة المؤلف فيلقى من الادباء والنقاد بعض ما هو جدير به من التقدير والانصاف بعد ان اهملوه ذلك الاهمال الشنيع

والكتاب مقسم الى ستة أبواب تناول الباب الاول منها « تطور النثر الفنى فى عصر النبوة الى القرن الرابع » والباب الثانى يعالج خصائص النثر الفنى فى القرن الرابع وبه فصول رائعة عن السجع والازدواج وتصوير الحياة العقلية والنسيب والوصف وما الى ذلك . وتكلم فى الباب الثالث عن كتاب الاخبار والاقاصيص ولعل أبدع فصوله هذا الفصل المبتكر الذى كتبه فى نشأة المقامات . وأما الباب الرابع فقد تناول فيه كتاب النقد الادبى كأبى الحسن الجرجانى وابن فارس وابن شهيد والباقلانى والآمدى والعسكرى

وأضرابهم واختص الباب الخامس بكتاب الآراء والمذاهب كأبي حيان التوحيدي وأبي علي بن مسكويه والخطيب وابن حزم والثعالبي وتكلم في الباب السادس عن كتاب الرسائل كابن العميد وابن برد والببغاء والصاحب ابن عباد والخوارزمي والصابي وبديع الزمان وغيرهم

والمجال هنا لايتسع للاسهاب في عرض الكتاب ونقده فلندع ذلك الآن ولنعمد الى شخصية المؤلف فنتناولها بشيء من التحليل الوجيز . وعندنا أن مفتاح شخصيته هو ذلك الاهمال الذى لقيه من كبار النقاد والأدباء . فان ذلك الاهمال هو الأصل في هاتين الصفتين اللتين تبرزان فيه بروزا واضحا . أعنى المن ، والاسراف . فان المؤلف كثير المن بجهوده في خدمة الأدب ، شديد التمدح لآثاره وثمرات قلمه . وليس لذلك من سبب سوى أنه لم يجد من يقول فيه كلمة تقدير وانصاف ، فراح هو يقولها في نفسه ، ثم أخذ يكررها ويؤكدها حتى صارت عادة مألوفة !

وهو أحيانا يسرف ويشتط في آرائه ، وهذا أيضاً راجع الى إحساسه بأنه مهمل من النقاد ، وأنه لايحتل المركز الذى يحسب نفسه جديرا باحتلاله ، فهذا الاحساس قد دفعه الى اجهاد نفسه في اثبات شخصيته ، وتقرير ذاته بقصد التجديد والابداع لكى يلفت اليه الانظار

ولكنه لم يتئد في تجديده وابداعه ، فأسرف وأغرب في بعض أحكامه . وهو لم يتئد لانه كان مدفوعاً بعاطفة حادة عنيفة تشبه عاطفة الانتقام والتشفي !

ولا نحب أن نسهب في التدليل على أن المؤلف الفاضل يسرف أحياناً في أحكامه وآرائه . فان المجال كما قلنا ضيق لايتسع للاستقصاء . فنكتفي بمثال واحد نأخذه عن هذا الكتاب الذى نحن بصدده

فهو في معرض الكلام عن « روايات الأغاني » يقول : « . . . وانما أريد هنا أن أنص على ناحيتين في الاصبهاني وكتابه لم أجد من تنبه لهما من الباحثين . ولهاتين الناحيتين أهمية عظمى في فهم الحياة الأدبية ، وسيكون لهما أثر عظيم في دعوة المؤلفين الى الاحتياط حين يرجعون الى كتاب الأغاني يتلمسون الشواهد في الأدب والتاريخ

« الناحية الأولى خاصة بالأصبهاني : تلك الناحية هي خلقه الشخصي . فقد كان

الأصبهاني مسرفا أشنع الاسراف فى اللذات والشهوات ، ولقد كان لهذا الجانب من خلقه أثر ظاهر فى كتابه . فان كتاب الاغانى أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون . وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاقهم الشخصية ، ويهمل الجوانب الجدية اهمالا ظاهرا يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزانة والتجمل والاعتدال

« وهذه الناحية من الاصبهاني أفسدت كثيرا من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه ، ونظرة فيما كتبه المرحوم جورجي زيدان فى كتابه تاريخ أدب اللغة العربية ، وما كتبه الدكتور طه حسين فى حديث الاربعاء تكفى للاقناع بأن الاعتماد على كتاب الاغانى جر هذين الباحثين الى الحط من أخلاق الجماهير فى عصر الدولة العباسية ، وحملهما على الحكم بأن ذلك العصر كان عصر شك وفسق ومجون . . . الخ »

فأنت ترى أن المؤلف الفاضل ينسب الى الاصبهاني أنه تعمد ان يسرد الجوانب الضعيفة من أخلاق الكتاب والشعراء وأن يهمل الجوانب القوية منها . وعلة ذلك فى رأى الدكتور هى أن الاصبهانى نفسه كان ضعيف الاخلاق مسرفا أشنع الاسراف فى الملذات والشهوات .

ونحن نرى أن المؤلف يسرف فى هذا الرأى أشنع الاسراف ! فهو يعلم ان كتاب الاصبهانى اسمه « الاغانى » ! وأن مؤلفه عنى قبل كل شىء بايراد المقطوعات والقصائد التى كان يتغنى بها العرب فى مجالس الشراب ومجامع السمر واللهو ثم عنى بعد ذلك بأخبار الشعراء الذين نظموا تلك القصائد والمغنين الذين تغنوا بها فجاء كتابه مزيجا من الجد واللهو والرزانة والمجون . وهذا هو أسلوب التأليف الذى كان شائعاً فى ذلك العصر .

وإذا « كان كتاب الاغاني احفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون » كما يقول الدكتور زكى ، فذلك لأن العصر العباسى نفسه كان عصر خلاعة ومجون . فالاصبهاني لم يفعل أكثر من انه وصف عصره أصدق وصف . وفى هذا القدر الكفاية الآن

شهر زاد

تأليف الاستاذ توفيق الحكيم صفحاتها ١٦٢ من القطع الكبير طبعت بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

لا نحسب أن أحداً من المثقفين فى مصر ، بل فى الشرق العربي ، يجهل اسم توفيق الحكيم مؤلف درامة « أهل الكهف » التى أجمع كبار النقاد على أن مؤلفها فنان

مطبوع . فهي أية النبوغ والذهن العميق الغواص . وشهرزاد أية أخرى من أيات توفيق الحكيم . ولسنا نشك أن كبار النقاد سيجمعون مرة أخرى على أنها قطعة فنية رائعة ، لاتقل جمالا عن أختها أهل الكهف

بدأ المؤلف قصة شهرزاد من حيث أنتهت قصة الف ليلة وليلة . ويعلم القارىء أن قصة الف ليلة وليلة تتلخص فى أن الملك شهريار كان قد فجأ زوجته تخونه مع عبد فقتل الاثنين واقسم ان تكون له كل ليلة عذراء يقضى معها الليل ويقتلها فى الصباح ، فلما تزوج شهر زاد راحت تلهيه وتسليه بالقصص البارعة حتى اذا ادركها الصباح سكتت عن الكلام المباح فابقى الملك عليها الى الليلة التالية وهكذا حتى بلغت لياليها معه ليلة والف ليلة . وهنا تنتهى قصة الف ليلة وليلة وتبدأ قصة شهرزاد . ماذا حدث بعد انقضاء الالف ليلة وليلة ؟ كيف كانت حياة الملك شهريار مع زوجته شهر زاد بعد ان فرغت من قصصها ؟ هل عاد سيرته الاولى يشتهى الاجساد ومنظر الدماء أم أنه تغير واصبح رجلا آخر يرى الحياة كلها شيئاً تافها حقيرا بعد ان استمتع بكل شيء وزهد فى كل شيء ؟ هذه اسئلة لاتجد لها جوابا فى قصة الف ليلة وليلة، ولكنك تجد الجواب فى هذه الدرامة العجيبة التى أبدعها عقل المؤلف النابغ

والمحور الذى تدور عليه القصة هى شخصية شهر زاد تلك المرأة العجيبة ذات الاعين الصافية التى « هى كل ما كان ، كل مايكون ، كل ما سيكون ، قناعها لم يكشفه بعد انسان » فهى تحب ثلاثة رجال فى آن : تحب الملك شهريار حب العقل فيرى فيها عقلا كبيرا وتحب الوزير قمر حب القلب فيرى فيها قلباً كبيرا وتحب العبد حب الشهوة والجسد فيرى فيها جسداً جميلا ! كان الملك شهريار قبل ان يعرفها جسدا بلاقلب ، ومادة بلاروح ، فجاءت شهرزاد وخلقته من جديد فى الف ليلة وليلة . الم تفعل قصصها بهذا الملك مافعلته كتب الانبياء بالبشرية الاولى . أصبح شهريار يعاف الاجساد ويبغى الهرب من كل ماهو مادة . صار انسانا معلقا بين الارض والسماء

كاد السأم يقتله فاراد التحرر من سجن المكان وخرج يضرب فى الافاق على غير هدى ، ثم يعود فى النهاية الى قصره فيفاجىء زوجته شهر زاد تخونه مع عبد فلا يكترث ولا يحرك ساكنا لانه لم يعد رجلا بل انسانا معلقا بين الارض والسماء ينخر

فيه القلق . لقد حاولت شهرزاد بهذه التجربة مع العبد ان تعيده الى الارض ، وأن ترده رجلا ، فلم تفلح فقد ماتت الشهوة في جسده

هذا هو الموضوع . أما الحوار فيكاد يبلغ حد الكمال لولا ما يشوبه من الاقتضاب ، والغموض في بعض المواضع . ولا نحب أن نختم هذه الكلمة قبل ان نسجل اعجابنا بالاستاذ توفيق الحكيم فهو فنان ملهم يحسن الاهتداء الى المصادر المجيبة ، ويحسن استغلالها في فن الدرامة فقد عمد الى قصتين شعبيتين هما أهل الكهف والف ليلة وليلة ، فسما بهما ، وأخرج منهما درامتين الخاصة . وهذا أعظم ما يطمح اليه فنان

« ع . . . »

كتب جديدة

ضاق نطاق المجلة عن نقد الكتب الآتية وسنتناولها عرضاً ونقداً في العدد القادم .

١ — جولة في ربوع الشرق الأدنى — بين مصر وأفغانستان تأليف السائح المصري الاستاذ محمد ثابت . صفحاته ٢٩٤ من القطع المتوسط طبع بمطبعة سعد مصر بالفجالة

٢ — المملكة الروحية عالم الأعلى للاستاذ مصطفى محمد ا . صفحاته ٢٣٤ من القطع الكبير طبع بمطبعة المدينة المنورة

٣ — فن القضاء تأليف الاستاذ حليم سيفين المحامي صفحاته ٣٢٤ من القطع المتوسط طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر

٤ — المجموعة الاولى من محاضرات جماعة الثقافة باسيوط صفحاته ١٥٢ من القطع المتوسط طبع بالمطبعة الاهلية باسيوط

٥ — تقويم التعليم في مصر سنة ١٩٣٤ وضع الاستاذ احمد عطية الله صفحاته ٩٨ من القطع الكبير طبع بدار الهلال بمصر

٦ — فن التنفس تأليف محمد السكرى صفحاته ٧٠ من القطع المتوسط طبع بمطبعة محمد صلاح الدين بالاسكندرية

٧ — صحائف مطوية من تاريخ التوبة تأليف محمد كامل حته صفحاته مائة من القطع المتوسط طبع بمطبعة المنار بمصر

الصحة والمرض

مشروع الالتزام العلاجي للعلاج

أثار موضوع مشروع الالتزام العلاجي للفلاح الذى اقترحه الدكتور محمد خليل عبد الخالق اهتماما زائدا من الرأى العام ، وهذا المشروع لا يتعارض مع مشروعات مصلحة الصحة من حيث تعميم انشاء المستشفيات القروية بل هو بالعكس يساعدها

ومضمون المشروع هو العلاج الحكومى للفلاح الذى يقل ما يدفعه سنويا من الضرائب عن عشرين جنيها وجملة اصلاحات صحية أخرى تتلخص فيما يأتى :

يخصص لكل عشرة آلاف نسمة من سكان القرى طبيب يسكن بينهم للفحص عن مرضاهم وعلاجهم وصرف الدواء اللازم لهم بالمجان ، ويقوم هذا الطبيب بالتبليغ عن الامراض الوبائية فيكشف أمرها سريعا بدل الاعتماد على زيادة الوفيات فى القرى كعلامة لوجود مرض معدبها كما هو الحاصل الآن .

كذلك يكتب شهادات الوفاة بعد معالجة المريض وبذلك تصير ذات قيمة من الوجهة الاحصائية وليس كما هى الحال الآن

وتعالج المستشفيات المرضى الذين يحولون عليها من أطباء مشروع الالتزام العلاجي فقط . وبذلك يقل التزاحم عليها ويكون عملها مجديا وذلك طبعا عدا علاج حالات الاسعاف ويخصص أطباء الصحة فى المراكز كل وقتهم للاعمال الصحية ولا يزاولون المعالجة فى الخارج حتى يقوموا بواجباتهم على الوجه الكامل

وقد أثار عرفان بك مدير البلديات سابقا فى أثناء مناقشة هذا المشروع موضوعا على جانب عظيم من الاهمية فقد حث على ضرورة النهوض بالفلاح ليس فقط من وجهة الاصلاح الصحى بل يجب تدبير المسكن الصحى والماء الصالح للشرب وتصريف الفضلات وزيادة موارد الرزق

فهذه العوامل من أهم الاسباب للامراض ويجب التكاتف على حل تلك المعضلات

وعلى كل حال فليس فى تنفيذ هـذا المشروع ارهاق للميزانيـة بل اقتصاد محض وفائدته محققة وسهلة التنفيذ وهو يفتح المجال لعدد عظيم من الاطباء ليتفعوا مواطنوهم بخبرتهم

تعمير النساء

مما يلاحظ ، وهو أيضا يثبته الاحصاء ، ان النساء يعمرن أكثر من الرجال مع انهن لايمارسن من الرياضة مثلما يمارسون ولا يمشين معظم الوقت فى الهواء الطلق كما يعمل الرجال . ولكن رجل يبلغ المائة من العمر نجد عشرا من النساء يبلغن هذا العمر

وقد يكون فى هذه الظاهرة ما يبعث على التفكير فى قيمة الرياضة البدنية من الناحية الصحية . فان مما لاشك أن الرياضة تنشط الجسم ولكن أليس هذا النشاط نفسه استهلاكا لقوى الجسم ؟

هذا هو السؤال الذي يجب أن نواجه . فان المرأة تعيش كثيرا . والرجل لايعيش مثلها لأنه يجهد نفسه بالعمل والرياضة . ويبدو لنا ان الاكثار من الرياضة ضرر لاشك فيه حتى مع مايجلبه الي كفاءات الجسم من التنبه وخاصة اذا كان العمل الاصلى يقتضى الحركة الكثيرة

ومما يلاحظ ان ابطأ الحيوان فى الحركة وهو السلحفاة هو أيضا أطولها عمرا اذ قد تتجاوز المائة من السنين . وقد تكون حياة المرأة طويلة لان حركتها بطيئة

اضطراب الحيض فى سن اليأس

يقصد بسن اليأس تلك السنوات التى تقع فى عمر السيدة بين ٤٥ و ٥٠ حين ينقطع الحيض . وهذا الانقطاع الاخير يرافقه اضطراب فى بعض النساء وان كان يمر سليما هادئا فى البعض الآخر . وهـذا الاضطراب هو فى حقيقته سكرات الموت للمبيضين اللذين يجهدان آخر جهدهما فيفرزان عصاراتهما التى تجرى فى الدم وتغمر جسم المرأة وأعصابها بما يضعها فى حال غريبة من الآلام الغامضة كالصداع والخفقان . وعند ما يمضى هذا الدور ينقطع الحيض فيضمر المبيضان والرحم

وهذا الدور يزداد خطورة إذا كان بالمرأة أمراض خبيثة سابقة بالمبيضين أو الرحم قد أهمل علاجها فى الماضى . والمرأة فى هذه الحال تحتاج الي الراحة والابتعاد عما يهيج الاعصاب أو يبعث القلق مع تبديل الهواء واستشارة الطبيب من وقت لآخر